آمال وأقدار

ثروت أباظة



آمال وأقدار

دار الشروق
القاهرة

الطبعة الأولى
١٤١٩ هـ - ١٩٩٩م

أسسها محمد المعلم عام ١٩٦٨

القاهرة : ٨ شارع سيبويه المصرى - رابعة العدوية - مدينة نصر
ص.ب : ٣٣ البانوراما - تليفون : ٤٠٢٣٣٩٩ - فاكس : ٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)
بيروت : ص.ب : ٨٠٦٤ - هاتف : ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٢١٣
فاكس : ٨١٧٧٦٥ (٠١)

ثروت أباظة

آمال وأقدار

دار الشروق

الفصل الأول

أحسن أبو سريع علوان تدبير خططه لمستقبله منذ بواكير الأيام، حين كان يعمل صرافا بقرى الصعيد واستطاع بشتى وسائل ومختلف حيل، لم يكن الشرف طابعها ولا كانت الأمانة سنتها أو ديدنها، أن يجمع ثمن سبعة أفدنة اشتراها على مهل وعلى دفعات بقريته بالشرقية التى تسمى «دلجمونة». وكان أبوه يملك من قبل ثلاثة أفدنة حتى إذا تم له عشرة أفدنة، وقر فى نفسه أن عمل صراف هذا لا يليق بمكانته وقد أصبح عينا من أعيان البلدة وواحدا من أثريائها، وطلب تسوية معاشه وأقام بالدلجمونة يرعى أرضه وابنه لطفى معا.

ولم يكن لطفى متقدما فى دراسته ولا كان متأخرا، فهو ينجح فى كل عام نجاحا يفرح به أبوه كل الفرح غير ناظر مثقال ذرة للدرجات المتهافتة التى ينجح بها ولده.

ومازال يسير فى دراسته حتى حصل على بكالوريوس التجارة. وإن كان أبوه قد فرح فرحا عارما بنجاح الابن وحصوله على الشهادة الجامعية، فإن فرح لطفى كان مضاعفا عشرات المرات ليس لمجرد تخرجه وإنما أولا وقبل كل شىء لأنه يستطيع بما ناله من شهادة أن يفلت من ربقة أبيه الذى كان يضيق عليه فى المصاريف تضييقا لا يمكن أن يتصوره أحد.

فمهما يكن صرافا، ومهما يكن لحزا شحيحا، فإن لكل بخل حدا يقف عنده. ولا ينسى لطفى يوم حصل على شهادة الثانوية العامة بتقدير يتيح له أن ينتظم فى كلية التجارة أن أباه راح يبحث عن الذين نالوا الثانوية العامة فى نفس العام حتى يستطيع هؤلاء الناجحون النازحون إلى القاهرة أن يتقاسموا الغرفة الوحيدة التى سيبحث لابنه عنها فى أرخص أحياء القاهرة مهما تكن بعيدة عن الجامعة.

وبالمثابرة والجهد الجهيد وجد شهيدى الأهتم وسعداوى الجرف قد حصلا هما أيضا على الثانوية العامة وكان كلاهما فقيرا معدما، ففرح أهلوهما بما اقترحه عليهم أبو سريع أن يشاركا ابنه الغرفة ويتقاسم ثلاثتهم إيجارها.

ولا ينسى لطفى يوم نزل مع أبيه ليبحثا عن غرفة، فإذا بهما يجدان حجرة على سطح منزل بالجيزة موقعها قريب من الجامعة وأبى أبوه أن يستأجرها وراح يدور فى أنحاء القاهرة بحثا عن حجرة أشد رخصا. وقال له لطفى يومذاك:

ـ يا آبا إن ما سنوفره من أجرة الحجرة سننفقه فى المواصلات.

وإذا أبو سريع يجيبه فى سخرية:

ـ منذ متى كان المشى يدفعون له أجرة؟!

وجف لسان لطفى وهو يتلعثم لأبيه:

ـ أمشى من هذه الأحياء البعيدة إلى الجامعة؟

ـ ومن الدلجمونة وحياة والدك.

وصمت لطفى صاغرا .

واستأجر أبو سريع غرفة فى أزقة عابدين .

واستمر لطفى سنوات الجامعة الأربع يأكل مرة واحدة فى اليوم ليستطيع أن يركب المواصلات . وكانت أمه سلمى أم الخير حين تراه فى الإجازات تفجع بهزاله عالمة كل العلم أن أباه يقتر عليه أشد التقتير .

ـ يا أخى حرام عليك إنه ابنك الوحيد وأنت رزقك واسع .

ـ إذا أسرف اليوم أضاع الأرض غدا .

ـ فإذا مات ؟

ـ لا يموت أحد من المشى .

ولم ينس لطفى يوم علم أن وجدى بك صفوان كبير أعيان المنطقة وصاحب مائة فدان برتقالا فى الدلجمونة استدعى أباه وكلفه أن يشرف على كاتبيه ميخائيل جرجس وسعيد النجار فى حسابات الأرض مقابل مرتب مقداره مائتا جنيه فى الشهر .

وما البأس مادمت مقيما بجانب أرضى وفى بيتى؟

وظن لطفى يومذاك أن أباه سيوسع عليه بعض السعة ، ثم أدرك أنه أحمق غبى ، فإن شح أبيه عليه لم يكن مصدره قلة المال عنده ، وإنما مصدره طبيعة جبل عليها لا يستطيع منها فكاكا ولا مهربا .

وللبخيل على أمواله علل

زرق العيون عليها أوجه سود

وهكذا فرح لطفى فرحة لا حد لها، لأنه بحصوله على الشهادة يستطيع أن يعيش كما يحيا الآدميون.

أما أبو سريع فلم تكن أحلامه تقف به عند الأفدنة العشرة ولا مائتى الجنيه التى ينالها من وجدى.

إنه يقرأ فى الصحف عن الملايين من الجنيهات تتناقلها الأيدى وكأنها ملاليم. ما الذى ينقصه ليكون بين هؤلاء اللاعبين بالملايين؟!

لهذا دبر خططه للمستقبل.

وقد رأى استكمالا للوجاهة أن يعتسف لنفسه لقب الحاج، فأدى الفريضة ليناديه الناس بالحاج، والله سبحانه وحده الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور، هو الحكم الحق فى قبول هذه الحجة أو ردها.

وهكذا أصبح أبو سريع حاجا وأصبح ذا وجاهة فى القرية.

وحدث يوما أن جاءته «نفيسة دعشوش» زوجة سعد الله جابر أو التى كانت زوجته وقالت لأبى سريع:

ــ يا حاج يعمر بيتك.

ــ خيرا يا نفيسة أنا تحت أمرك.

ــ لقد طلقنى سعد الله بالأمس.

ــ أعوذ بالله.

ــ بل قل الحمد لله فقد كانت العيشة معه ــ بعيد عنك ــ سوداء وكانت أيامه كلها سبا وشتما.

ـ هكذا بلا مناسبة؟

ـ يعيرنى أنى عاقر.

ـ يا ستى هذه الأمور أصبح الطب يحسمها بمنتهى البساطة. ألم تذهبى إلى طبيب؟

ـ العيب فيه هو.

ـ إنه حقا رجل ظالم.

ـ هو يدَّعى أنه كان يسىء إلىّ إلى حد الضرب لأنى عاقر وهو يعلم كل العلم أن السبب فى ذلك هو وليس أنا، ولكن الحقيقة يا حاج أنه طلقنى لسبب آخر.

ـ أى سبب؟

ـ وفاة كامل الشنوانى.

ـ وما شأن وفاة كامل بطلاقك؟

ـ ترك لزوجته فدانين من الأرض.

ـ وما شأن طلاقك بهذا؟

ـ حط سعد الله عينه على حبيبة أم عرابى أرملة كامل فما إن أوفت العدة حتى تقدم إليها وقالت له لا أتزوج على ضرة.

ـ الآن فهمت ووضحت الأمور، وماذا تريديننى أن أفعل؟

ـ أنا انتقلت إلى بيت أبى منذ أمس.

ـ طبعا .

ـ أنت تعرف أبى .

ـ هل أحد فى البلد لا يعرف الشيخ زكى دعشوش؟! إنه أبخل من جلده .

ـ إنه لم يقل لى شيئا حتى الآن ولكنه لاشك يطمع فى المؤخر الذى أخذته .

ـ طبعا .

ـ مع أنه سيحصل على نفقتى .

ـ ألا تكفيه النفقة ؟!

ـ ولهذا جئت إليك .

ـ أنا تحت أمرك .

ـ المؤخر الذى قبضته ثلاثمائة جنيه أريد أن أحتفظ به للزمن .

ـ طبعا لك حق .

ـ إن أبقيتها معى استولى عليها أبى بطريقة أو أخرى .

ـ مؤكد .

ـ خذ هاك ثلاثمائة الجنيه أمانة معك .

ـ أكتب لك إيصالا ، فهذا حق الله .

ـ يا حاج وهل ترانى أعرف القراءة حتى أعلم ماذا تكتب فى الإيصال؟! أنا واثقة فى ذمتك .

*****

وهكذا كانت هذه الواقعة بابًا جديدا فتح على مصراعيه لأبى سريع ، وتدفقت عليه الأمانات ، وأجمع القاصدون إليه ألا يأخذوا منه ما يدل على أنهم استودعوه أموالهم .

وكثرت الأمانات لديه ولم يكن يخشى أن يغتاله أحد فى هذه الأموال فابنه فى القاهرة يبحث عن عمل وقد بيت فى نفسه أن يجد له هذا العمل وكان يدرى وسيلته إلى ذلك .

وزوجته سلمى لا يعنيها المال فى شىء فمادامت تجد لقمتها وهدمتها فليس لها مطمع بعد ذلك .

*****

قال أبو سريع لوجدى :

ـ أراك تخدم الناس جميعا وتنسى المقربين إليك !

ـ هل تأخرت عنك فى شىء ؟

ـ ألا تعرف أنك أهملت أمرى كل الإهمال ؟!

ـ فيم ؟

ـ ابنى لطفى .

ـ ما له ؟

ـ ألا تعرف أنه حصل على التجارة العليا ؟

ـ وهنأته .

ـ نعم وأتحفته بمائة جنيه أبى أن يعطينى منها مليما واحدا .

ـ إذن ؟

ـ ألا تدرى ؟ ما فائدة الشهادة إذا لم يتوظف بها ؟ !

ـ آه والله . . أنت محق ولكنك لم تطلب منى شيئا .

ـ وهل يحتاج الأمر إلى طلب ؟

ـ ظننت أنك تريد له وظيفة معينة يعينك عليها أصدقاؤك الكثيرون ، فأنت صراف قديم ولك أصدقاء وجهاء فى كل مكان .

ـ لا أحد منهم فى مثل وجاهتك .

ـ أنا تحت أمرك .

ـ سعادتك تتعامل مع بنك الوفاء الاقتصادى منذ نشأة البنك .

ـ ولى أسهم فيه أيضا .

ـ أعلم ذلك ، أنسيت أنى مطلع على كل حساباتك؟ !

ـ فليكن ما تقول .

وتم فعـلا تعـيين لـطفى أبو سـريع علـوان بقسم الائتـمـان ببنك الوفـاء الاقتصادى .

●●●●●

الفصل الثانى

على مقربة يسيرة من قرية أبى سريع ووجدى الدجمونة : قرية أخرى تسمى الولجة ، أشهر من فيها عيدروس النمر ، وهو رجل غليظ الجسم بصورة متضخمة . ولكن غلظة جسمه تعتبر نحافة وضمورا إذا قورنت بغلظة فؤاده . مات أبوه وهدان النمر وترك ولدين وبنتين وكان أربعتهم قد بلغوا سن الرشد . ولكن عيدروس كان قد كون عصابة قبل أن يموت أبوه عملها السرقة واغتصاب الأرض والقتل بسبب يتعلق بعيدروس أو لغير ذلك من أسباب ، كأن يطلب منه صاحب مصلحة فى زوال شخص ما أن يقتله . وطبعا لم تكن الصداقة وحدها تكفى عيدروس لينفذ قتل خصم القاصد إليه ، بل كان يتقاضى مبالغ ضخمة يقدرها هو حسب مقدار الثروة التى يملكها طالب القتل .

وحين ألف عيدروس عصابته كان أبوه مازال على قيد الحياة . هذا إذا اعتبرنا أن تردد الأنفاس حياة ، فقد كان فى الموهن الأخير من عمره لا يكاد يعقل ما يسمع وقد رفق به المولى سبحانه فلم يطل الأمد الذى كان يتنفس فيه بلا حياة .

فحين مات لم يكن يعلم عن ولده عيدروس إجرامه وجبروته ، ولو كان

قد علم لما صنع شيئا. فقد كان رجلا سلما، من هؤلاء الذين يمرون بالحياة أو تمر بهم، وكأنهم من هوان الشأن ما وجدوا.

وكان فخره الأعظم أنه حافظ على الخمسين فدانا التي تركها له أبوه، لم يبع منها قيراطا واحدا. ولم يحاول أن يفكر، رغم أنه لم يكن جوادا ولا صاحب نخوة، وعيشته لم تكن ذات سعة ولا بحبوحة، أن يزيد في أرضه فدانا واحدا .

وهكذا تملك من عيدروس احتقاره لأبيه احتقارا لا يبديه، وإنما يضمره ضخما عريضا في دخيلة نفسه. فحين انتقل أبوه إلى ربه مر أمر موته بعيدروس كأن شيئا لم يحدث، فقد كان هو وأخوه مراد وأختاه عزيزة ووهيبة يعتبرون منذ زمان بعيد أن أباهم قد مات، وإن كان على قيد الحياة.

واستولى عيدروس على أرض أبيه جميعا بلا مناقشة في الأمر. فمراد كان شابا جاهلا لا هم له في الحياة إلا أن يحصل من أبيه على ثمن الخمور التي يدمنها إدمانا يأخذ عليه حياته. وأما زوجا عزيزة ووهيبة، فهمي وحسين، فقد كانا يجمعان إلى الخوف الراعد والجبن المبيد هوان الشأن وامحاء الشخصية.

فكان من الطبيعي أن يستولي عيدروس على التركة جميعها دون أن تواجهه أدنى معارضة. فقد أصدر أوامره لخازن ماله شعبان السحت بأن يعطي لأخيه كل يوم ما يكفي مأكله وخمره، واعتبر مراد أنه نال أقصى المنى فهو غير متزوج ولا يرغب في الزواج. فمادامت أم الكبائر هي مذهبه وهواه فلا بأس أن يكون الزنا ديدنه ومبتغاه.

وأما عزيزة ووهيبة فقد وعد عيدروس كلتيهما بمرتب شهرى أقل من حقهما ولكنه أوهمهما أن هذا الفارق مقابل الإدارة، وارتضيتا ما قرره ولم يكن بيد إحداهما إلا أن ترتضيه .

تزوج عيدروس فى حياة أبيه فهيمة الحوت ابنة عمدة القرية سليم الحوت وقد كان هذا العمدة شخصا بلا شخصية وكان شبه صديق لوهدان حتى إذا بدأ عيدروس حياته المجرمة كان له عبدا وأهون من عبد رغم أنه حموه . وأنجب عيدروس من فهيمة ابنتهما سعدية . وكلمة أنجب هنا ليست فى موضعها، فهى قريبة فى حروفها من النجابة وهى أمر بعيد كل البعد عن سعدية . ولم يولد لعيدروس وفهيمة غير سعدية رغم سنوات الزواج المتطاولة .

وكانت سعدية تذهب إلى مدرسة القرية . وكان المدرسون يحاذرون أن يوجهوا لها أى تنبيه أو لوم . فحين بلغت العاشرة لاحظ أبوها الذى كان لا يكاد يقرأ أو يكتب أنها لم تتعلم شيئا خاصة فى مادة الحساب .

والحساب أمر خطير فى حياة عيدروس، فانتهز مرة زيارة أبى سريع له وقال له :

ـ يا أخى ألم تكن صرافا ؟

ـ عمرى كله قبل أن أسوى معاشى .

ـ سعدية بنتى، أريدك أن تعلمها الحساب فالمدرسون فى المدرسة يخافون منها ولا يعلمونها .

ـ سأقول لك خيرا من هذا .

ـ قل .

ـ أنا سأعلمها الحساب طول السنة ، وفى إجازة المدارس أجعل ابنى لطفى الطالب بكلية التجارة يعلمها .

ـ وهو كذلك .

ـ على شرط .

ـ اشرط .

ـ أن يكون هذا هدية منى بلا مقابل .

ـ تستطيع أن تتكلم عن نفسك ، أما ابنك فاتركه يتكلم عن نفسه .

ـ لا وحياة رأسك لا ينال إلا رضاك .

وهكذا تعرف لطفى وهو فى السنة الأولى من كلية التجارة على سعدية وقد كانت طفولتها تنبئ أنها ستكون فى مثل سمن أبيها وقبحه أيضا .

وطبعا انقطع لطفى عن تعليمها حين تخرج ، فقد كان نادر الزيارة للبلدة . حتى إذا عين أوشكت هذه الزيارة أن تنقطع تماما إلا أنه كان يبيت فى نفسه أمرا .

●●●●●

الفصل الثالث

كانت سعدية فى الرابعة عشرة من عمرها حين توقف لطفى عن التدريس لها، وكانت يومذاك تزداد سمنا ودمامة.

وقضى لطفى سنتين فى البنك لم يستطع خلالها أن ينسرب إلى خوافى البنوك ودهاليز المعاملات فيها.

وكان لطفى مصرّا على أن يعوض نفسه عن شظف العيش الذى ضيقه عليه أبوه فلم يكن عجيبا أن يزداد تمسكا بما بيت عليه أمره. ولم لا؟! ليكن أبوها مجرما فلاشك أنه بإجرامه هذا فرض على الناس فى المنطقة جميعا أن يهابوه وترجف قلوبهم عند سماع اسمه، وهو غنى يتفاقم فحش غناه كل يوم بأعمال الاغتصاب وسفك الدماء التى يقوم بها بعصابته التى تزداد توحشا فى كل يوم.

وأعلم أيضا أن وجدى صفوان سيغضب مما أنتويه، ولكن ما شأنى به؟! إنه رجل حريص على حدود الله والحق ومعانى الشرف والكرامة، وتلك الأشياء التى أصبحت أساطير.

نعم كان وساطتى أن أعمل بالبنك، كثر خيره، ولكن هل معنى هذا أن أسير على هداه وأنهج فى الحياة نهجه . . .؟! هيهات.

ونعم، أبى يعمل لديه بمرتب وصل إلى ثلاثمائة جنيه، ولكن ما شأنى بأبى؟!

لا شأن لى بأبى ولا بوجدى ولا حتى بتامر بن وجدى الذى كان رفيق ملعبى فى الطفولة، فقد سار طريقا آخر غير طريقى، فهو من هواة القراءة وهذا الكلام الفارغ الذى لا يؤدى ولا يجىء بشىء، وقد دهشت أنه دخل كلية الحقوق وفى نفس العام الذى دخلت أنا فيه كلية التجارة وتخرج فيها بتقدير كما سمعت، ولكن أباه لم يشأ أن يوظفه ليجعله يعمل محاميا بأحد مكاتب المحامين الكبار وقد أنهى مدة تمرينه وأبوه يبحث له عن شقة فى القاهرة ولابد أنها ستكون شقة فاخرة ومكتبا فخما . فأبوه ليس له إلا هو فليس غريبا أن يغدق عليه وأن يكون التفاهم والوئام سائدين بين الأب وولده كسنَّة الحياة. ليس فى هذا عجب إنما العجيب حقيقة هو أبى الذى يحب القرش أكثر من حبه لابنه الوحيد بل أكثر من حياته. ربما كان محقا فالقرش حلو والذى يملك مالاً يملك كل شىء فى الوجود.

ما الذى جعلنى أفكر فى تامر هذا التفكير الطويل؟! ربما علمى بغضبه وغضب أبيه وجدى مما أنا مقدم عليه، ولكن أيصل الغضب إلى إبعاد أبى عن العمل؟ لا أظن. . وإن فعل، ما شأنى أنا؟! لعل أبى يدرك أن إصراره على التقتير علىّ كفيل بأن يجعلنى أقيم حياتى كما أشاء حتى ولو أسأت إليه بعض الإساءة أو كل الإساءة ولكن لا أعتقد أن وجدى سيستغنى عن أبى . . . وأنا مالى؟! ليكن من أمر أبى ووجدى وتامر وكل الناس ما

يكون . أنا ليس لى فى الدنيا إلا أنا وأمى ولكنها لا تقدم ولا تؤخر كأنها صدى صوت لأبى أو كأنها ظل من ظلاله .

ـ آبا

ـ مالك ؟

ـ أريد أن أتزوج .

ـ ألست متعجلا ؟

ـ يا أبى إنك ليس لك ولد إلا أنا .

ـ وما صلة هذا بذاك ؟

ـ ألا تحب أن ترى أطفالى تلعب حولك ؟

ـ أهذا ما يجعلك تعجل بالزواج ؟

ـ ليس وحده .

ـ فقل السبب الحقيقى ولا تراوغ أباك .

ـ السبب أننى وجدت العروس المناسبة التى لن يكلفك زواجى منها إلا أقل القليل .

ـ هذا فى ذاته شىء عظيم ، ولكن من هى . . هل أعرفها ؟

ـ بل أنت الذى عرفتنى بها .

وانتفض أبوه واقفا وهو يصيح :

ـ يا نهارك أسو . . . !!

لم ينطق الدال ، فقد أخذه الذهول وراح لطفى يقول له :

ـ يا آبا اهدأ .

وانحط أبو سريع على الكرسى الذى انتفض منه وهو يقول :

ـ أهذا معقول ؟!

ـ ما الذى ليس معقولا ؟

ـ ألا تخاف من أبيها؟

ـ أولاً ليس هناك أى سبب لأن أخاف أنا من أبيها . فنحن لسنا فى بلدة واحدة، ولا يمكن أن يطمع فى أرضك فهو لا يغتصب أرضا خارج الوجة .

ـ هذا أولا ، فما ثانيا ؟

ـ ثانيا أنا حين أتزوج سعدية سأصبح مكان ابنه .

ـ وما الذى يجعله يقبل؟! أنت شاب فى أول حياتك، ومال أبيك لا يقارن بثروته .

ـ أبى هل أنت حقا لا تدرى السبب ؟

ـ مال أبيها يشفع لها .

ـ مال قارون لا يشفع لقبحها وضخامة جسمها .

ـ فلماذا اخترتها ؟

ـ أنا ابن أبى سريع فلا مانع أن أكون على قدر كبير من السعى إلى القرش حتى ولو كان فى فم الأسد .

ـ أو فى فم النمر .

ـ إذن فهل وافقت ؟

ـ ربنا يسلم، إننى حين أخرج من عند عيدروس بعد زيارة له لا أصدق أننى على قيد الحياة .

ـ سيتظاهر بأنه مندهش، ولكنه خبيث ويعلم أن مثل ابنته ـ إن كان لها مثل ـ من المستحيل أن تجد زوجا مثلى .

*****

قال أبو سريع :

ـ يا سعادة البك جئتك اليوم من أجل ابنى .

ـ لطفى . .

ـ وهل عندى غيره ؟

ـ سمعت أنه توظف .

ـ نعـم .

ـ مبروك .

ـ أجَّل المبروك بضع دقائق .

ـ خيرا .

ـ يريد أن يتزوج .

ـ وماله؟ شاب متخرج فى الجامعة وموظف من حقه أن يفكر فى الزواج .

ـ ليس هذا ما جئت من أجله .

وبدأ عيدروس يفهم ، ولكنه فى لؤم الفلاحين تخابث :

ـ فماذا تريد ؟

ـ الولد اختار عروسا عظيمة وبنت رجل عظيم ، وأخشى كما يخشى أن نرد خائبين .

وفى نفس اللؤم قال عيدروس :

ـ أتريد أن أكلم أباها؟

ـ لست فى حاجة إلى ذلك .

ـ ماذا تريد منى؟

ـ أن تكلم نفسك .

ـ هل جننت؟ كيف أكلم نفسى؟!

ـ سعادتك أبو العروس .

ـ ماذا ؟!

وصمت وكأنه تلقى مفاجأة . كان على ثقة أن لطفى يريد أن يتزوج ماله وسلطانه ، ولكن ماذا تملك سعدية مما يرغّب فيها طالبيها إلا مالى وسلطانى؟! فمهما تكن ابنتى فأنا أعرف مقدار جمالها . . أتضحك على

نفسك؟ وهل لها أى جمال؟ وما المانع أن يكون لطفى زوجا لها؟ ولكن علىّ أن أتمهل، فإن سارعت أدرك ما يعتمل فى صدرى. قال لأبى سريع:

ـ والله أنت فاجأتنى.

ـ أعلم ذلك.

ـ هل هو متعجل؟

ـ سعادتك تعرف الشباب.

ـ إنما لابد أن تترك لى فرصة للتفكير.

ـ العروسة تعرف العريس وكان مدرسا لها.

ـ ولكن لابد من التفكير.

ـ وهل يجرؤ أحد على أن يقول غير هذا؟! إنها ابنتك الوحيدة أطال الله لك عمرها وأطال لها عمرك.

ـ تعال بعد غد.

ـ وماله.. أمرك، إنما لو كان غدا يكون أحسن.

ـ ما هذه العجلة؟

ـ لا نحتمل أنا وابنى القلق والخوف يومين. اجعلها غدا الله لا يسيئك.

كان أبو سريع أيضا فى غاية الخبث فى إلحاحه هذا، فهو يريد أن يجعل عيدروس يتأكد من مقدار الرغبة الشديدة عنده وعند ابنه فى إتمام هذا الزواج.

ران الصمت لحظات ثم قال عيدروس :

ـ وهو كذلك غدا أعطيك جوابى .

ـ يدك أقبلها .

وقبل يده . . . فعلها وقام منصرفا .

*****

وفى الغد تمت الخطبة . وبعد أسبوعين تم الزواج وحصل عيدروس لابنته على شقة بمدينة نصر كتبها باسمها ولم يكلف أبا سريع ولا ابنه إلا مهرا قدره بألف جنيه مقدم ومثلها كمؤخر ، فقد خشى أن يغالى فى المؤخر فيعلن بذلك عن قبح ابنته فلم يزد المؤخر عن المقدم . وكان عيدروس يعلم كل العلم أن لطفى سيكون شبه خادم لسعدية ، فهو ـ لاشك ـ يعرف سطوة أبيها وجبروته ، والذى يقتل بالأجر لأجل الغير لا يتردد أن يقتل من أجل ابنته .

وكان أبو سريع ولطفى كلاهما يقدران كل هذا الذى دار بذهن نسيبهما الجديد . وكان لطفى يعلم غاية العلم أنه أتى لنفسه بزوجة تمتلكه جميعا ولا يملك منها إلا ما تريد أن تجود به عليه ، ولكن منذ متى كان صاحب كرامة ، وهو الذى حرمه أبوه الثرى أجر المواصلات إلى كليته؟! ودعنا نردد البيت الشهير الذى يصنعه لطفى وإن كان لم يسمع به ؛ فما كان له فى الأدب نصيب مهما كان ضئيلا :

من يهن يسهل الهوان عليه

ما لجـرح بميـت إيـلام

●●●●●

الفصل الرابع

كان أيسر شىء على عيدروس أن يشترى أرض أختيه بأبخس الأثمان. فقد خشى أن يسبقهما إلى الآخرة فتقاسمان سعدية الأرض، فحين عرض الشراء على عزيزة ووهيبة شجع فهمى عزيزة بمثل ما شجع به حسين وهيبة: نحن لا نأخذ من الأرض إلا ما شاء هو أن يقدمه لنا ولا يجرؤ أحد منا على أن يحاسبه، فلنأخذ ما يجود به علينا ثمنا لها ونصبح بعيدين عن سطوته وجبروته.

وتم الشراء وسجله عيدروس من أختيه إلى ابنته مباشرة واثقا بأن لطفى يرتعد أن يفكر فى الحصول على ريع الأرض. أما مراد فقد انتهز عيدروس فرصة الصباح قبل أن يعاقر خمره وقال له :

ـ ما رأيك يا مراد أن تبيع أرضك لابنتى سعدية؟

ووجم مراد لحظات وقال لأخيه :

ـ أخاف يا عيدروس.

ـ منى ؟

ـ بل من نفسى . . أنا أعرف كما تعرف أننى حين أشرب أصبح مسرفا،

لا قيمة للمال عندى، وأخشى أن ينتهز الذين يشاربوننى الفرصة فيستولوا على مالى كله فى بضعة أيام وأصبح يا مولاى كما خلقتنى.

ـ تفكير سليم.

ـ لا تخف منى فإننى حين أكون مفيقا يتلبسنى العقل حتى أشرب.

ولم يكن عيدروس يتوقع أن يكون أخوه مستطيعا أن ينظر إلى المستقبل بهذا الحرص. وأدرك مراد ما يفكر فيه أخوه فقال:

ـ لا تعجب.. فلو لم أكن قادرا على بعد النظر أحيانا لتزوجت.. وضحك عيدروس ملء فمه وواتته فكرة سارع يعرضها على أخيه.

ـ عندى فكرة.

ـ وأنا تحت أمرك.

ـ أنت تعلم طبعا أننى لابد أن أشترى الأرض.

ـ أعلم، ولو أن الله وحده هو الذى بيده الموت والحياة. ومن يدرى ربما كنت أسبق إلى لقائه منك فالموت لا يعرف أعمارا.

ـ أنا أعمل احتياطى.

ـ معقول.

ـ ما رأيك أن أشترى منك الأرض وأقسط ثمنها على أقساط شهرية وأكتب لك كل شهر كمبيالة بالباقى من ثمنها حتى إذا مت قبلك تستوفى باقى الثمن من سعدية.

وصمت مراد بعض الحين وأدار ما يعرضه عليه أخوه فى رأسه فوجده معقولا .

ـ نتوكل على الله . .

وهكذا اشترى عيدروس أرض مراد باسم سعدية ولم ينس أن يكتب أرضه هو كلها باسمها أيضا .

ووقعت سعدية كمشترية فى الشهر العقارى . وكان لطفى أحد الشهود ، ولكنه كان واثقا كما كانت سعدية واثقة بأن هذا الانتقال للملكية ليس له أى معنى ولا عواقب مادام عيدروس على قيد الحياة .

●●●●●

الفصل الخامس

حرص أبو سريع على أن يرد الأمانات إلى أصحابها عند طلبهم لها، فاشتهر فى القرية بالأمانة شهرة عامة فتزاحم عليه أصحاب الأمانات حتى شعر أنه قد آن له أن ينفذ ما ينتوى عليه، فقصد إلى وجدى بك.

ـ يا وجدى بك لى عندك رجاء.

ـ خيرا.

ـ تامر أطال الله عمره تزوج وأنجب لك وجدى الصغير. ألا تفكر فى أن تقدم له هدية ؟

ـ قل ما تريد دون لف ولا تحايل.

ـ أنا لم يعد لى عيشة هنا.. ابنى الوحيد مقيم بمصر ومعه زوجته وهى حامل وأريد أن أكون إلى جانبه.

ـ وأرضك ؟

ـ هذا ما جئت إليك فيه.

ـ أتريدنى أن أشتريها؟

ـ أنت تعرف أن ثمن الفدان الآن أصبح مرتفعا ولا يستطيع أحد أن يشتريها إلا أنت .

ـ أنا أعرف أنها أرض خصبة وتصلح لزراعة الفواكه .

ـ ومجاورة لأرضك .

ـ كم تقدر ثمنا للفدان؟

ـ سعادتك تعرف أثمان الأرض عندنا .

ـ وأنا اشتريت .

ـ وأنا بعت .

ـ أتريد الثمن كله دفعة واحدة؟

ـ أنا لا أريد أن تكون لى صلة بالدجمونة ، فليس لى إلا ابنى وزوجتى سلمى التى تتوق أن تكون بجانب ابنها .

ـ الكلام معقول ولو أننى أريدك أن تظل رقيبا على حساباتى .

ـ ميخائيل وسعيد فى غاية الأمانة والدربة ، وأنت لا تحتاج إلىّ .

ـ اكتب العقد .

ـ اسمح لى أن أسأل : بكم؟

ـ الثمن معروف .

ـ لكى يطمئن قلبى .

ـ أربعمائة ألف جنيه .

ـ ونعم الرجال أنت .

ـ وسأعطيها لك كاملة عند التسجيل .

ـ سأبدأ فى الإجراءات من الغد ، ولن آخذ منك عربونا .

ـ أنت تعرفنى .

ـ كلمتك عقد وشيك معا إنى أعرفك حياتى كلها .

*****

الشيخ عبد الحميد أبو جريشة شاب كفيف البصر يقرأ القرآن فى المآتم وفوق القبور بقرية الدلجمونة . أمله فى الحياة أن يتزوج ، ولهذا راح يدخر الجنيه فوق الجنيه حتى إذا تقدم للزواج وجد عنده ما يستطيع أن يقيم به حياته وحياة بنيه . وكان الشيخ عبد الحميد حريصا على أن يجالس أهل القرية ويتعرف على أخبارهم ، فالوقت على الكفيف متطاول ثقيل ، ولهذا كان عبد الحميد يعتبر زواجه موضوع حياة أو موت .

وكان يسمع فيما يسمع من أهل القرية بعضهم يقول للآخر :

ـ لقد تزوج فلان من زوجة وقاك الله النظر إليها ، إنها أقبح من قمر العوراء . .

فاستقر عزم عبد الحميد على الزواج من قمر العوراء ، وهل يصلح للعوراء إلا كفيف مثلى ، وخاصة أنها فقيرة معدمة تقوم بالخدمة فى بيوت الأعيان ، وعين واحدة تكفى كلينا .

ولم يتمهل عبد الحميد .

كان لعبد الحميد صديق قارئ قرآن مثله ، ولكنه كان بصيرا وكان اسمه سلامة مرسى . وكان عبد الحميد وصديقه سلامة يتسمان بالظرف والفكاهة الذكية . ومن العجب أن عبد الحميد كان أكثر أهل القرية سخرية من أناسها فكان كثير من الشباب يستحبون أن يتحلقوا حوله فى أوقات فراغهم فتتعالى منهم الضحكات لتعليقاته اللاذعة المتجددة . وكان يجالسه مع سلامة ، الوردانى عوض وغيرهما من شباب القرية . وفى جلسة من هذه الجلسات تخافت الصوت حوله حتى أحس أنه لم يبق معه إلا سلامة .

ــ سلامة .

ــ مالك ؟

ــ هل نحن وحدنا؟

ــ نعم .

ــ فقم بنا .

ــ إلى أين ؟

ــ فقط هيا بنا وسأخبرك فى الطريق .

ــ هيا بنا .

وحين بدأ بهما الطريق ، قال عبد الحميد :

هل يسمعنا أحد؟

ـ لا . . . انطق ماذا تعوز؟

ـ أعوز أن أذهب إلى قمر العوراء .

ـ أعوذ بالله .

ـ أعوذ بالله منك .

ـ فيم تريدها؟

ـ إذا قلت لك لا تضحك .

ـ لعلك تريد أن تتزوجها .

ـ وأى عجيبة فى ذلك؟!

ـ إن قبحها لا يتصوره بشر .

ـ فما فائدة العمى إذا لم أظفر بالزواج بها؟

ـ وأنا ما ذنبى حتى أراها؟

ـ إنك صديق لأعمى ، فلا عليك أن تذهب به إلى عوراء .

ـ والله إنك على شدة قبحك أكثر صباحة منها .

ـ حتى تعرف ميزات العمى يا مغفل!

ـ كثر خيرك .

ـ قل لي . . . الولد زردق الشنوانى .

ـ ماله ؟

ـ كثير المجىء إلينا فى هذه الأيام . . كان فى جلستنا اليوم وكان هنا أيضا من يومين .

ـ يريد أن يتزوج هو الآخر مثلك .

ـ هكذا . . ومن العروس ؟

ـ نبوية بنت الشيخ عبد الفتاح أبو إسماعيل .

ـ وتمت الخطبة ؟

ـ هو طلبها .

ـ وطلبه معناه أن الخطبة قد تمت .

ـ لك حق .

ـ الشيخ عبد الفتاح كما تعرفه يخاف من خياله ويرتعد إذا ذكر أحد أمامه أنه يملك ثمانية أفدنة مخافة أن يخطف منه فدانا .

ـ يقولون إنهما قريبا سيتزوجان .

ـ لا بارك الله فى هذا الزواج .

ـ أى والله لا بارك الله فيه .

ـ زواج سفّاح من أرض لا من عروس .

ـ يقولون إن سيده عيدروس مقتر عليه وعلى إخوانه من سفاحى عصابته .

ـ فلماذا لا يتركه زردق ؟

ـ هل جننت ؟!

ـ وماذا فى ذلك ، فإن لم يكن عيدروس يعطيهم ما يكفيهم فهناك مائة عيدروس غيره .

ـ يظهر أن زواجك من قمر العوراء سيذهب بعقلك!

ـ لماذا ؟

ـ أولا زردق وشمندى وسرور وعبادة الذين يكونون عصابة عيدروس لا يجرؤ واحد منهم على أن يتركه لأنه سيأمر الثلاثة الآخرين بقتله على الفور .

ـ وثانيا ؟

ـ ليس فى الجهة أحد يجسر على أن يستأجر واحدا كان من عصابة عيدروس . . . المسألة فيها رقاب يا سيدنا .

ـ لك حق . . نحن لنا مدة طويلة نمشى ، ألم نصل ؟

ـ وصلنا .

ـ فلماذا لم نذهب إلى البيت؟

ـ قلت أدور بك بعض الوقت لعلك تعدل عن فكرتك .

ـ والله لا أعدل أبدا ولو مشيت بى إلى الآخرة .

ـ الأمر لله . . . انتظر حتى أطرق الباب .

وجاء الصوت :

ـ من ؟

ـ افتحى يا قمر أنا عبد الحميد .

ـ عبد الحميد من ؟

ـ عبد الحميد أبو جريشة .

ـ أهلا وسهلا . .

وفتحت الباب وما إن رأت الشيخين حتى صاحت :

ـ والشيخ سلامة .

ـ كيف حالك يا قمر ؟

ـ يسلم حالك . كان علىّ أن أتوقع ، فأنتما لا تفترقان .

ـ إن كنا نفترق أحيانا فاليوم لابد أن أكون معه .

ـ أهلا شرفتما . أحضر لكما كوبين من الشاى .

وقال عبد الحميد :

ـ اقعدى بلا شاى بلا غيره ، وهل كنا قادمين من أجل شايك ؟

ـ قعدت . . . إنما الزيارة غريبة يعنى .

ـ بعد قليل تعرفين أنه لا غريب إلا الشيطان .

ـ أعوذ بالله . . . خيرا يا مشايخ .

وقال عبد الحميد لسلامة :

ـ هل ستتكلم أنت أم أتكلم أنا يا شيخ سلامة .

ـ يقولون إن الحياء فى العين وأنت والحمد لله لا ترى ، فما المانع أن تتكلم أنت ؟

وقالت قمر :

ـ هل الكلام خطير إلى هذه الدرجة؟ فليتكلم أى واحد منكما .

وقال الشيخ عبد الحميد :

ـ لا حياء فى الدين يا سلامة ، وعلى كل حال أعفيتك فأنا أعرف أنك نذل عند الحاجة إليك . . اسمعى يا ست قمر .

وجف حلقه فسكت . وصاح سلامة :

ـ الشيخ عبد الحميد يريدك زوجة له .

وساد الصمت . . طبعا ، وهل يتزوجنى إلا أعمى . . ؟! أنا أعرف هذا فى نفسى ولو أن الآمال كانت تطوف بخاطرى أحيانا مثل أى بنت إلا أنها عشم إبليس فى الجنة . . أنت الآن مخيرة ليس فى رفض عبد الحميد أو قبوله إنما أنت مخيرة بين الزواج أو عدم الزواج إلى الأبد . ولكن فى الزواج ستر ولعله يريحنى من خدمة البيوت .

وتخلجت شفتاها بعد إطباق طويل لتقول :

ـ وماله . . . ؟ الشيخ عبد الحميد رجل طيب وأهلا به على كل حال .

ـ إذن موافقة؟

ـ لى بعض أسئلة . . .

ـ اسألى ما شئت .

ـ هل ستجعلنى أخدم فى البيوت كما أفعل الآن ؟

ـ أهذا كلام . . . ؟! أتكونين زوجة لرجل يحمل كلام الله وتخدمين فى البيوت؟!!

ـ أطال الله عمرك . . . ويا ترى هل ستدفع مهرا ؟

ـ يا سبحان الله! طبعا والمهر الذى تحددينه .

وصمتت قمر ثانية . الآن أستطيع أن أكون مثل الأخريات وأسمى المهر الذى أريده على الأقل لأعرف إن كان متمسكا بى أم هى زيجة والسلام وله أن يماكسنى، فإذا فعل أقبل ما يعرضه . وتخلجت شفتاها مرة أخرى لتقول :

ـ ثلاثمائة جنيه .

ـ مهرك ثلاثمائة جنيه مقدما ومثلها فى المؤخر .

ـ على بركة الله .

وقال سلامة :

ـ نقرأ الفاتحة ؟

وقالت قمر :

ـ نقرؤها .

وقرأوا الفاتحة، ثم قالت قمر :

ـ متى تريد أن يتم الزواج ؟

ـ إن كان الأمر متوقفا على إرادتى فأنا أريد الآن، وسلامة يحضر الشيخ عمران والشاهد الثانى .

ـ وأنا أيضا أتمنى ذلك، إلا أننى وعدت الحاجة ليلى زوجة الشيخ عبدالفتاح ألا أتركها إلا بعد أن تتزوج بنتها نبوية .

ـ من زردق ؟

ـ اسم النبى حارسك .

ـ وماله .

ـ وأخشى أن أخلف وعدى .

ـ تخشين من زردق طبعا .

ـ مجرم، والقتل عنده مثل شرب الماء .

ـ وماله يا ست قمر أوفى بوعدك .

ـ وأنا أيضا أريد أن أشترى جهازا مثل العرائس .

ـ من حقك . . . توكلى على الله .

وقال سلامة :

ـ مبروك يا شيخ عبد الحميد . . مبروك يا قمر . زواج خير إن شاء الله .

وخرج الشيخان، وقال سلامة :

ـ كل شيء معقول إلا أنك ستدفع ثلاثمائة جنيه مهرا . . من أين لك بها؟

ـ اسمع يا سلامة نحن صديقان كأخوين وأنا كفيف وأنت مبصر فأنت ترى خلجات وجهي وتعرف كل ما يعتمل في صدري وأنا لا أعرف خلقتك .

ـ هذا حق .

ـ أريد أن أحس أن لي سرا خاصا أحتفظ به لنفسي .

ـ هذا حقك ولن أسألك بعد اليوم .

وكان الليل قد أمسى فأوصل سلامة صديقه عبد الحميد إلى بيته ولم ينس أن يحتضنه مكررا التهنئة، وانصرف. وخلا عبد الحميد إلى الراديو يستمع إليه .

ولكن خواطره تذهب به إلى ذلك اليوم الذي تخلص فيه من سلامة بحجة أنه على موعد لقراءة القرآن بالولجة في أحد المآتم وأن أصحاب العزاء سيرسلون إليه من يأخذه. وحين خرج من بيته بعد انصراف سلامة صاح في الطريق : السلام عليكم . . وأجابه شخص جالس بالقرب من منزله :

ـ وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته . .

ـ يا مرحبا . . من الرجل ؟

ـ أنا رزق حلحول .

ـ أهلا رزق . . . هل أستطيع أن أقصدك فى مكرمة؟

ـ أنا تحت أمرك يا شيخ عبد الحميد .

ـ هل أنت مشغول ؟

ـ وإن كنت مشغولا ، أنا فى خدمتك . . يكفى أنك تحفظ كلام الله يا أخى ، والمشى معك بركة .

ـ بارك الله فيك وجعل رزقك واسعا إن شاء الله يا رزق .

ـ يسمع منك ربنا يا شيخ عبد الحميد .

ـ خذ بيدى وحياتك إلى بيت الحاج أبى سريع .

ـ وماله . . هات يدك .

ومشيا ، وراح عبد الحميد يبرر هذه الزيارة .

ـ كنت مع الإخوان وسمعت أنه سأل عنى .

ـ لعله يريد أن يعمل خاتمة بمناسبة نجاح ابنه .

ـ ربما . . كلها أرزاق يا رزق .

وما هى إلا بعض جمل من الحوار حتى وقف به رزق . .

ـ هذه هى الدار .

وطرق الباب

وجاء صوت أبى سريع من الداخل :

ـ من الذى يخبط الباب ؟

ـ افتح يا حاج . . أنا عبد الحميد أبو جريشة .

وهمس رزق لعبد الحميد :

ـ سلام عليكم أنا ياشيخ عبد الحميد .

وانصرف وفتح أبو سريع الباب وأخذ بيد الشاب حتى أجلسه وهو يقول :

ـ أهلا . .

ـ لا مؤاخذة يا عم الحاج هل معنا أحد ؟

ـ تكلم يا شيخ عبد الحميد ، فزوجتى فى زيارة ولطفى فى مصر كما تعلم .

وفك الشيخ زرائر صديريته ودس يده فى صديرى آخر تحت الأول ملاصق لجلده وأخرج رزمة من الجنيهات واضحة الضخامة وأعطاها لأبى سريع وهو يقول له :

ـ عد هذه الجنيهات يا عم أبو سريع .

وفى دهشة بالغة راح أبو سريع يعد جنيهات الشيخ ثم قال :

ـ ألف وثلاثمائة جنيه .

ـ هى كذلك ، وإن شاء الله سآتى لك ببعض مئات أخرى ، وأترك المبلغ كله أمانة عندك .

ـ أحفظه بين عينى . . . أكتب لك إيصالا ؟

ـ يا عم الحاج أنا كفيف ، إذا لم آئتمنك ما جئت إليك ، وكيف سأقرأ الإيصال الذى ستكتبه؟! أنا ادخرت هذا المبلغ من كدح العمر كله والله يعلم مقدار ما عانيت فى سبيل جمعه ، فأنا أريد أن أتزوج ويصبح لى أبناء مبصرون أعوض بهم شقائى وأحس أنى آدمى مثل الآخرين وخشيت أن ينتهز أحد فرصة بصرى المكفوف فيفجعنى فيه ، وأنا لم أجئ إليك إلا بعد أن ذاع صيتك أنك ترد الأمانات إلى أهلها وأن الناس جميعها ترفض أن تأخذ منك ورقة بما استأمنوك عليه . . . توكل على الله .

ـ انتظر ، كيف ستسير ؟

ـ لن أعدم ابن حلال كالذى أوصلنى إليك .

ووجد عبد الحميد من يأخذ بيده إلى صحبته الذين يجالسهم كل يوم منذ العصر حتى صلاة العشاء أو بعدها بقليل ، وكان سلامة مع الصحبة . وقال له سلامة :

ـ لماذا لم تذهب إلى مأتم الولجة؟

وقال عبد الحميد ، وكان قد أعد الإجابة :

ـ لم يرسلوا لى أحدا . . . الظاهر جاءوا بشيخ آخر أرخص منى .

نعم مثلما قلت لسلامة لابد أن أستمتع بسر لى لا يطلع عليه أحد . . أليس هذا من حقى؟ . . سبحان الله لقد أصبحت الألف والثلاثمائة اليوم ألفا وستمائة تضمن العيش لقمر ولى إن شاء الله .

●●●●●

الفصل السادس

كان تامر فتى قليل المثال فى جيله، ولاشك فى أن هذا راجع إلى عناية والده به عناية فائقة. ورغم أنه يزرع أرضه بنفسه إلا أنه كان يحرص على أن يهب لابنه كل الاهتمام؛ فتراه قد حرص منذ صغره على أن يجعله يقرأ القرآن ويحفظ سوراً منه، كما شجعه على القراءات الأخرى بادئا بكتب الأطفال متدرجا معه. وحين بلغ تامر سن المدرسة أدخله مدرسة فرنسية ليتقن لغة أخرى بجانب العربية، وانتقل تامر إلى القاهرة مع والدته صالحة هانم عبد البر كريمة المستشار عبد البر الوسيمى الذى لم ينجب إلا صالحة وأختها ثريا.

ولوجدى بيت أنيق فى القاهرة، ولكنه كان يقضى أغلب وقته بالدجمونة مع أرضه، فحين دخل تامر المدرسة انقلبت الآية وأصبح حريصا على أن تكون الإقامة الأساسية فى القاهرة مع حرصه الشديد على أن يقيم يومين أو ثلاثة كل أسبوع بالبلدة.

أما صالحة فلم يكن لها شاغل فى الحياة إلا تامر، وكانت هى أيضا مثقفة ثقافة فرنسية، وإن لم تكن حاصلة على شهادة عالية. وكانت دائما تذاكر مع تامر حتى إذا فاق ثقافتها كانت تستحثه على المذاكرة والقراءة فى

وقت معا. ومع هذا فقد كانت صالحة كما كان وجدى حريصين على أن يقبل تامر على المذاكرة والقراءة إقبال محب لا إقبال مرغم، فكانا يتيحان له أن يخرج مع أصدقائه حين يشاء أو يجلس إلى التليفزيون أو يستمع إلى أغانى الراديو أو يذهب إلى السينما أو الحفلات كلما تاقت نفسه إلى ذلك. بل كان الوالدان يصحبان ابنهما إلى أوروبا كلما عنّ لهما أن يسافرا سواء كان السفر من أجل الترويح عن النفس، أم كان سفرا من أجل العمل، فقد كان وجدى بارعا فى الزراعة ومكنت له براعته من أن يصدر نتاج أرضه إلى الخارج حين أصبح التصدير متاحا، ويشاء مؤلف القلوب أن تتواصل الألفة التى صارت إعجابا ثم أصبحت حبا متبادلا بين تامر وابنة خالته رحاب التى حرص والداها أمجد عمر وثريا عبد البر الوسيمى على تنشئتها أعظم تنشئة. وكان أمجد يعمل وكيل نيابة مع والد ثريا، فأعجب بالوالد وحدث أن رأى ابنته فتقدم لخطبتها وتم الزواج وأنجبا رحاب وأصبح أمجد مستشارا مثل حميه وإن كان حموه قد سبقه إلى المعاش بطبيعة السن. وقد حرص أمجد على أن تنال رحاب من التعليم أحسنه، واختار لها هو أيضا المدارس الفرنسية مثله ومثل أمها التى لم تنل هى أيضا شهادة عالية شأنها فى ذلك شأن أختها صالحة.

وكانت رحاب وضيئة القسمات مشرقة الطوايا، وشع إشراقها المستخفى على معارف وجهها المعلنة بزينة جمال أخاذ قل أن تتمتع به فتاة، ولا يمتلكها الغرور والزهو ولكن الخلاق المصور شاء أن يمنحها جمال القلب والوجه معا ويرد عنها كبر الصباحة واستعلاءها. وقد كانت رحاب تصغر تامرا بسنتين فكانا رفيقى ملعب وصديقى فتوة وحبيبى شباب.

وكان زواجهما أمرا متفقا عليه بين ذويهما دون مصارحة، لا يحتاج إلا إلى أن يتخذ مراسمه الشرعية.

وكان الوالدان والأمّان والجدان والجدتان جميعا سعداء غاية السعادة بما يؤلف بين تامر ورحاب من حب مكين يمنعهما الحياء أن يبدياه إلا فى نظرة أو تحية مشرقة أو اهتمام من كل منهما بأنباء الآخر المدرسية ثم الجامعية ، بل إنه اهتمام لا تفوته حتى الأخبار الثقافية أو أسباب الترويح والمسلاة لكل منهما .

وكانت رحاب تنتقل إلى السنة الثالثة بكلية الآداب حين تخرج تامر فى كلية الحقوق بتقدير يمكنه من الانتظام بسلك النيابة ليصبح مثل جده وحميه ولكن كليهما نصح له أن يعمل بالمحاماة واختارا له مكتب صديقهما المحامى الشهير رشدى فاضل ، ومالت نفسه إلى هذا الرأى .

وفاتح تامر أباه ، وأمه بمشهد . .

ــ بابا . . أترى بأسًا فى أن أتزوج؟

ــ ولكن العروس أمامها سنتان حتى تتخرج مثلك .

ــ إننا متفقان على أنها لن تعمل بالشهادة .

ــ أخشى أن يتوجس والداها أن يشغلها الزواج عن المذاكرة .

ــ إذا فعلا يكون الصواب قد جانبهما ، فهما أدرى الناس بابنتهما ويعلمان مقدار حرصها على الحصول على هذه الشهادة .

ــ والله ما أحب إلىّ .

وقالت صالحة :

ــ والله تامر محق . . فيم التأخير؟ سأكلم ثريا فورا .

وتم الزواج فى فرح وقور فخم . .

وحين تقدمت رحاب إلى امتحان الليسانس كانت حاملا فى وجدى وتعاقبت الأفراح على الزوجين وأهليهما بالنجاح والمولود فى مواعيد متزامنة وزادهم سعادة أن تامرا افتتح مكتبه بعد أن أتم سنتى المران وأصبح محاميا مستقلا تهيىء له مرافعاته فى مكتب رشدى فاضل مستقبلا زاهرا فى المحاماة .



الفصل السابع

في قرية الولجة يملك سعفان الأشهب ثلاثة أفدنة، لا يدرى أى عفريت زين لعيدروس أن يستولى عليها، فاستدعى سعفان . .

ـ أريد أرضك .

ـ أنا ليس لى إلا هذه الأفدنة الثلاثة أعيش عليها أنا وعيالى .

ـ اشتر غيرها .

ـ إنها أرض أبى وجدى . ثم إن سعادتك تعلم أن أحدًا لا يبيع أرضه فى الولجة .

ـ اشتر فى غير الولجة .

ـ وأترك بلدى أيضا؟!

ـ هذا أصلح لك .

ـ إنما قل لى يا بك . . . أرضى معى منذ مات أبى ولم تفكر فى شرائها . . . ما الذى أغراك بها الآن ؟

ـ كانت بجانب أرض أخى مراد، وأنا اشتريت أرض مراد فأصبحت بجانب أرضى.

ـ وشراؤك لأرض أخيك يأتى على دماغى أنا؟!

ـ أنا لا أناقش.

ـ أعرف.

ـ ففيم كلامك؟!

ـ أقول آه . . . أليس من حقى أن أقول آه؟!

ـ قل ما شئت.

ـ الأرض عزيزة.

ـ هل أعز من حياتك ؟!

ـ هل وصل الأمر إلى الحياة؟

ـ ألا تعرف ذلك ؟

ـ مادام الأمر كذلك، فاترك لى فرصة أشاور أخوتى ونبحث معا عن قطعة أرض إن لم يكن فى الولجة ففيما جاورها.

ـ أنا لا أحب أن أصدر أمرًا ويتأخر تنفيذه، إنما لا بأس خذ وقتك .

*****

فى اليوم التالى لهذا الحديث، كان أبو سريع فى زيارة لعيدروس.

فحين بلغ منزله أجلسه الخادم مبروك بغرفة الجلوس، وكان لها باب آخر يفضى إلى غرفة من غرفات المنزل. وجلس أبو سريع ينتظر عيدروس فإذا بصوته يأتى إليه من الحجرة المجاورة وكان مسموعا جليّا، مما يدل على أن مبروكا لم يخبره بمجىء أبى سريع. قال عيدروس :

ـ الولد سعفان الأشهب كان عندى أمس، وابن الكلب ماطل فى بيع أرضه.

وعلا صوت عرفه أبو سريع. إنه صوت شمندى رئيس عصابة عيدروس.

ـ وماله . . . هل هو أحسن من الذين قتلناهم ؟

وقال سرور :

ـ هى رصاصة، وياما قتلنا من هو أعظم منه !!

وقال عيدروس :

ـ اليوم كم فى الشهر ؟

قال زردق :

ـ اليوم خمسة منه.

ـ فى الخامس عشر من الشهر يذهب أربعتكم لبيته وهو على العشاء. اقتلوه واقتلوا أسرته جميعا.

ارتعدت فرائص أبى سريع وحار فى أمر نفسه : إن بقيت فى مكانى عرف عيدروس أننى سمعت ما دار من أمر المقتلة ! وإن انصرفت سيخبره

مبروك بأننى كنت هنا وانصرفت، فيدرى أننى اطلعت على سره، والغالب أن يقتلنى أنا أيضا!!

واتته فكرة. . . خرج من الغرفة، ووجد مبروكا غير بعيد منه، فقال :

ـ يا مـبـروك، والنبى يا بنى أريد أن أتوضـأ لألحق بالمغـرب قـبل أن يفوتنى، والمغرب درة فالتقطوها.

ـ وماله يا عم أبو سريع، تعال معى. .

ـ وذهب أبو سريع فتوضأ مع أنه كان متوضئا، وبدأ يصلى المغرب الذى كان صلاه قبل مجيئه مباشرة. وسمع وهو يصلى صوت مبروك وهو يقول لسيده :

ـ الحاج أبو سريع هنا.

وأحس أبو سريع بذعر عيدروس وهو يقول:

ـ ماذا تقول؟! متى جاء؟

ـ فى التو واللحظة، وطلب أن يتوضأ. وهو الآن يصلى.

ـ أين؟

ـ هنا بالحجرة التى بجانب الحمام.

ـ ألم يدخل حجرة الجلوس؟

ويسليقة الكذب غير الواعى، قال مبروك :

ـ طلب أن يتوضأ ساعة مجيئه.

وأدرك أبو سريع أنه نجا بكذبة مبروك، وأتم صلاته وجلس إلى عيدروس.

ـ يا مرحب يا حاج أبو سريع.

ـ رحب الله بك يا سعادة البك. جئتك اليوم لأخبرك بأنى نويت ـ والنية خير إن شاء الله ـ أن أسافر لأكون بجانب لطفى وسعدية ولأكون أيضا بجانب آل البيت. . . شيئا لله يا ست.

ـ ألا تنوى المجىء إلى هنا أبدا ؟

ـ فيما ندر.

ـ على كل حال أنا أسافر كثيرا إلى مصر وأراك هناك. ألست تنوى الإقامة مع لطفى؟!

ـ مؤقتا حتى أجد لنفسى بيتا.

ـ ولماذا مؤقتا ؟

ـ المهم أن سلمى امرأتى ستكون مع الست سعدية حتى تضع لنا الولد بالسلامة.

ـ وفهيمة امرأتى ستذهب إليها أيضا.

ـ قبل أن تذهب أكون وجدت بيتا إن شاء الله.

ـ وفيم العجلة؟ نحن أصبحنا أهلا . .

ـ حفظت يا سعادة البك . . أستأذن أنا.

وخلا الطريق بأبى سريع . لم يكن يصدق ما حدث: لا فى الأمر بالقتل بهذه البساطة ، ولا فى أنه سمع ما سمع ونجا قبل أن يقتل هو الآخر .

كان أبو سريع يعرف مقصده . فهو مع خوفه فكر فى أن الله سبحانه وتعالى إذا أراح الناس من عيدروس فإن ملكه كله سيؤول إلى ابنته ، وطبعا سيكون لطفى هو المتحكم فى كل الثروة . إن للمولى حكمة واسعة فى أن أسمع ما سمعت وأن أنجو به أيضا .

*****

كان وجدى على وشك النوم حين أعلنه الخادم بقدوم أبى سريع ، الأمر الذى أدهشه ، فلم يكن الوقت صالحا للزيارة .

بدأ وجدى الحديث :

ــ هل أنهيت إجراءات التسجيل يا أبا سريع ؟

ــ على وشك ولكنى جئتك فى مصيبة كبرى .

ــ فعلا لونك مخطوف ، مالك ؟!

وقص أبو سريع كل ما سمعه من عيدروس وعصابته على وجدى الذى لم تأخذه الدهشة قدر ما أخذه الاهتمام . وقال أبو سريع :

ــ أنا تركت الأمر بين يديك وأنا كأنى ما سمعت شيئا .

ــ طبعا كأنك ما سمعت شيئا .

وانصرف أبو سريع ، وعاجل وجدى التليفون وصاح :

ـ يا تامر تأتى إلىّ هنا غداً فى الفجر .

وقال له تامر :

ـ عندى قضية مهمة غدا .

ـ اترك نوتة بها وتعال ، بل إذا استطعت أن تجىء الآن يكون أحسن .

ـ خيراً ؟

ـ ليس خيراً ، ولكنه مهم جدا جدا .

ـ ماما صحتها حسنة؟

ـ والدتك بخير ، وليس الأمر متعلقًا بناولكنه غاية فى الأهمية .

ـ أمرك .

وقبل أن يصحو وجدى كان تامر عنده . وعرض الوالد الأمر على ولده ، وقال تامر :

ـ البس ملابسك وهيا بنا .

ـ نعم أعرف ما تريد ، وأنا رأيى مثل رأيك ولكننى لم أحب أن أذهب وحدى فى مسألة قانونية كهذه .

وذهب وجدى وتامر إلى مدير الأمن وأبلغاه بكل الذى عرفاه واهتم الرجل اهتمامًا كبيراً .

*****

فى اليوم التالى لهذه الواقعة ذهب أبو سريع إلى الشهر العقارى ، ولم

يقم إلا على موعد فى الغد أن ينتقل معه الموثق برسم انتقال إلى وجدى ليتم الصفقة .

وفعلا تمت الصفقة ، وقبض أبو سريع شيكا بالمبلغ ولم يكن قد أخبر سلمى بنيته ، وكان قد انتوى السفر فى باكر الصباح ، فإذا به يبده سلمى بقوله :

ــ ما رأيك نسافر غدا إلى مصر ؟

ــ هكذا بلا ترتيب !

ــ أى ترتيب؟! ستأخذين ملابسك وآخذ ملابسى ونستأجر سيارة تصل بنا إلى بيت لطفى .

ــ وأذهب بيدى فاضية ؟!

ــ يا ستى نشترى من حلويات مصر ما نريد .

ــ وهل هناك مثل صنع يدى؟

ــ اسمعى لا مناقشة . إننا سنسافر غدا إلى مصر وسنبقى بها مدة طويلة والسيارة آتية قبل صلاة الفجر .

وتم له ما أراد ، واستولى على الأمانات التى كانت عنده والتى كانت تزيد على مائة ألف جنيه ، وذهب إلى القاهرة . ولكنه لم يذهب مباشرة إلى بيت لطفى وإنما قصد البنك مباشرة ليصرف شيك وجدى . ولم يودع المبلغ فى البنك نفسه ، فقد كان ابنه لطفى يعمل به وقد حرص ألا يلقاه فى يومه هذا .

أخذ المبلغ وذهب إلى بنك الشرق وأودع المبلغ. وسلمى فى السيارة طوال هذه المدة غير مدركة شيئا إلا أن زوجها دخل إلى البناء الأول بحقيبة فى يده، ولم تكن تعلم أن هذا هو البنك الذى يعمل به ولدها، فمادام أبوسريع لم يخبرها فمن أين لها أن تعلم؟! وانتظرت وقتا أحست أنه طويل، إلا أن الزمن لم يكن ذا أهمية عند سلمى. وخرج زوجها إلى مبنى آخر لا تعرف من شأنه شيئا هو الآخر. وبعد الزيارتين اللتين قام بهما زوجها ذهبا معا إلى بيت لطفى الذى كان ما يزال فى عمله.

*****

تزوج زردق من نبوية، وبدأت قمر تعد لزواجها هى، ولكن حين ذهب عبد الحميد أبو جريشة إلى بيت أبى سريع علوان وجده قاعا صفصفا أو هكذا أخبره من صحبه إلى البيت.

*****

لم يتوقع أحد من أصحاب الأمانات أن أبا سريع هرب بأموالهم. وكانوا جميعهم مزمعين أن يهبوا له فترة انتظار، فإن أحداً لم يتصور أنه هاجر إلى القاهرة هجرة مقيم لا زائر.

*****

حل موعد الجريمة وذهب السفاحون الأربعة إلى بيت سعفان وضرب زردق باب سعفان برجله، فإذا بالذى يقابلهم الكمين الذى أعدته الشرطة. وسارع شمندى بإطلاق الرصاص فجاوبه رصاص الشرطة وقُتل وألقى الثلاثة الآخرون سلاحهم وقبض عليهم رجال الأمن.

وبلغ الأمر عيدروس فلم يحر جوابا، فقد أصيب من فوره بجلطة فى المخ منعته من الكلام والحركة، بل ومن الوعى أيضا .

وبدأ التحقيق مع أفراد العصابة الثلاثة، وقد كانوا ثلاثتهم معروفين لدى جهات الأمن، وما منع هذه الجهات من القبض عليهم إلا عدم وجود أدلة دامغة تدينهم فى جرائم القتل التى وقعت فعلا، ولكن الشهود خافوا أن يذكروا الحق من أمر المجرمين .

وقد أدرك ثلاثتهم أنهم سيحاكمون على الشروع فى القتل الذى ضبطوا متلبسين به وعلى جرائم القتل التى دارت حولهم فيها الشبهات، فلم يجد ثلاثتهم مناصا من أن يبوحوا بأسرار العصابة جميعها قديمها وحديثها، كما ذكروا أسماء الذين قتلوهم بأمر من عيدروس. وانكشف للشرطة خفايا كثير من الجرائم التى لم يكونوا يعرفون فاعليها. أما عيدروس فأمسى غير صالح للمحاكمة بل غير صالح لأى حديث من أى نوع، ووكل سعفان تامرا محاميا عنه كمدع بالحق المدنى، وأبى تامر أن يتقاضى أتعابا .



الفصل الثامن

لم يمهل أبو سريع الأيام، بل ألهب ظهرها بالسياط. إنه الآن يملك نصف مليون جنيه يريدها أن تكون عددًا لا يحصى من الملايين.

بدأ بأن استأجر شقة مفروشة منذ اليوم التالى لوصوله. وكان قد سمع عن سمسار بحى السيدة قادر على أن يجد له قطعة أرض بناء واسعة بالوسائل التى يلجأ إليها المغتصبون. ذهب إليه، وكان اسمه محروس الزينى..

ـ يا عم محروس.. صباح الخير.

ـ أهلا وسهلا، تفضل.

ـ الحمد لله ليس معنا أحد وأستطيع أن أحدثك فيما جئتك فيه.

ـ أنا تحت أمرك.

ـ أريد قطعة أرض يكون صاحبها مجهولا.

ـ ماذا ؟ . . . لا . . . لا يا عم، حد الله بيننا وبين الحرام.

ـ لك حق . . أنت لا تعرفنى . هذه هى بطاقتى . . انقل الاسم عندك واسأل عنى ، وآتى إليك بعد ثلاثة أيام . .

ـ ثلاثة لا تكفى .

ـ بل تكفى ، الوقت عندى مهم .

وفى خبرة التاجر المتمرس ، أدرك محروس أن محدثه ليس مدسوسا عليه من جهة أمن أو أى جهة حكومية . قال له :

ـ مكتوب فى البطاقة صراف .

ـ كنت ، وتركت الصرافة منذ سنوات عديدة ، وأضف على اسم البطاقة لقب الحاج أيضا ، فأنا لم أكن حججت حين استخرجتها .

قال محروس :

ـ قل ما تريد الآن .

ـ أنت تعرف ما أريد .

ـ عندى قطعة أرض مساحتها ألفا متر تساوى سبعة ملايين جنيه صاحبها هاجر منذ سنوات ويمكن القيام بإجراءاتها .

ـ ما هذه الإجراءات ؟

ـ من الذى دلك علىّ ؟

ـ كثيرون .

ـ أهمهم ؟

ـ مسعود سليم ، زميلى السابق .

ـ إنه يعرفنى كل المعرفة .

ـ وأنت أيضا تعرفه كل المعرفة .

ـ إذن اترك لى هذه الإجراءات ، ولنتكلم فى نصيبى .

ـ المبلغ الذى تقدره .

ـ الأرض تساوى كثيرا .

ـ فماذا تقدر لنفسك ؟

ـ لنفسى فقط ، أم للذين سيتعاونون معى ؟

ـ حدثنا عن نفسك أولا .

ـ لن أقول مائة ألف بل سبعين فقط .

ـ اجعلهم ستين وخذ عد هذه الجنيهات .

ويدأ محروس العد حتى إذا انتهى منه قال :

ـ هذه عشرون ألفا .

ـ نعم .

ـ مقبولة .

ـ متى أراك ؟

ـ اترك لى يومين . .

●●●●●

الفصل التاسع

تسامع الناس فى قرية الدلجمونة بأمر أبى سريع، وأنه أخذ أماناتهم إلى غير رجعة.

وذهبوا جميعا إلى وجدى الذى أدرك آنذاك لماذا باع له أبو سريع أرضه، ولكنه سألهم جميعا إن كان أحد منهم يملك ورقة تثبت حقه. ولكن هيهات.

شب فى البلدة حريق، واجتمع منهم عدد كبير وذهبوا إلى لطفى بالبنك وكان قد عرف ما فعله أبوه، وواجههم لطفى فى صلافة قائلا لهم فى صفاقة:

ـ ليعطنى أى واحد منكم ورقة آت له بالمبلغ فى هذه اللحظة، أما أن تشنعوا على أبى بمجرد كلام، فإنه أمر لا يمكن السكوت عليه. وليبلغ الحاضر منكم الغائب أنكم إذا جئتم لى بلا ورق فسأبلغ الشرطة أنكم تتهمون أبى ظلما وزورا وعدوانا وأتهمكم بإساءة السمعة.

وتخاذل الجمع، وأدرك كل منهم أنه لا سبيل له إلى أن يصل إلى ماله، وخشى كثير منهم تهديد لطفى فانصرفوا إلى غير عودة.

وعرف عبد الحميد أبو جريشة ما حصل فأصابه الذعر والهلع . لقد فقد عمره كله الماضى والقادم . . قال لسلامة :

ـ بنا إلى بيت قمر .

وذهبا ، وقال لها :

ـ يا بنت الحلال ، المال الذى كان عندى سرق ، وهو الذى كنت سأحميك به من خدمة البيوت ، وهو الذى كنت سأعطيك منه المهر . فإن قبلت شيخا أعمى لا يملك إلا مائة جنيه هى الباقية معى ـ والحمد لله نجت من براثن أبى سريع ـ فأهلا وسهلا .

ـ لا أهلا ولا سهلا ، ولا يلزمنى الزواج جميعا .

ـ لك حق ، قم بنا يا سلامة .

وهكذا انهارت البقية الباقية من آمال عبد الحميد فى الحياة جميعا ، وعزم أمره على شىء ، انتوى منذ تلك اللحظة أن يكرس حياته فى سبيل إنفاذه .

●●●●●

الفصل العاشر

سارت الأمور مع أبى سريع كما يشاء ، وفى فترة قصيرة استولى على أرض البناء الفضاء بعد أن رشا الخبير الذى خصص لمعاينة الأرض بخمسين ألف جنيه ، ورشا الشهود الأربعة الذين دبر أمرهم محروس بأربعين ألفا .

ولم تكن الأرض مبتغاه النهائى ، فهو يقول لابنه مفتتحا معه الحديث :

ـ البقية فى حياتك فى حميك .

ـ الله يرحمه ، لقد مات منذ اللحظة التى قبض فيها على رجاله .

ولم يشأ أبو سريع أن يخبر ابنه أنه هو السبب الأساسى فى كل ما حدث لعيدروس وعصابته ، وإنما قال :

ـ لقد أصبحت أنت الوارث الحقيقى ، فسعدية لا تعرف عن الأرض شيئا .

ـ كله لأولادها .

ـ المهم ، ماذا لو طلبت سلفة على الأرض بضمان أرض البناء؟

ـ بكم الأرض ؟

ـ يتراوح ثمنها بين ستة وسبعة ملايين جنيه .

ـ وإذا حققت لك ما تريد . . . ما نصيبى ؟

ـ نصيبك ؟!

ـ طبعا أنا الآن والد وصاحب أسرة قابلة للتضخم .

ـ على فكرة، لماذا أسميته سامى ؟

ـ وماذا كنت تريدنى أن أسميه ؟

ـ أبو سريع أو عيدروس .

ـ يا آبا هذه أسماء لا تصلح لعصر الولد .

على أى خيبة أسميه أبا سريع وأنا لم أر منك ومضة حنان؟! أنا إن كنت أعاونك الآن فلنفسى ولأسرتى، ومن أجل هذا فقط . وكم أتوق أن تطلع على ما يدور فى رأسى الآن . وأيقظه صوت أبيه من سرحته . .

ـ هيه . . ماذا قلت ؟

ـ فيم ؟

ـ فى سلفة على الأرض .

ـ لم تقل ما نصيبى ؟

ـ أى نصيب؟! أليس كل مالى لك ؟

ـ أطال الله عمرك، ولكن أليس من الطبيعى أن أعيش كما أشتهى وأنت على قيد الحياة؟!

ـ لا بأس، كم تريد ؟

ـ النصف .

ـ حقا إنك أهبل ! ماذا تظننى فاعلا بالسلفة التى سيمنحها لك البنك ؟

ـ أتنوى أن تفعل ؟

ـ طبعا، أترانى مجنونا لدرجة أن أترك ملايين لا تعمل .

ـ ماذا تنوى ؟

ـ أعمل بها فى السوق .

ـ أى سوق؟

ـ إننى صراف، ومثلى يكون خبيرا فى كل مناحى المال .

ـ ففى أى مجال ستعمل ؟

ـ أفضل شىء أراه أن أعمل فى المقاولات .

ـ عظيم، ولكن لابد لك من مهندس .

ـ بل قل مهندسين .

ـ ولابد أن يكونوا طوع أمرك .

ـ الفلوس تعمل كل شىء . . قل لى أولا : كم أستطيع أن آخذ من البنك؟

ـ بل قل لى أنت أولا : ماذا ستعطينى ؟

ـ أجعلك شريكا لى فى كل أعمالى .

ـ بكم قدر الخبير الأرض ؟

ـ الخبير لم تكن وظيفته تقدير الثمن ، وإنما كان عمله أن يثبت ملكيتى للأرض .

ـ إذن فالبنك هو الذى سيقدر ثمنها ، وعلى أساس هذا التقدير تكون السلفة .

ـ كم تستطيع أن تجعل البنك يعطينى؟

ـ عشرة ملايين على شرط . .

ـ اشرط .

ـ ليس الشرط لى . .

ـ فلمن إذن ؟

ـ للخبير الذى سينتدبه البنك .

ـ ماذا تقدر له ؟

ـ المسألة لم تصبح تقديرا ، إنها مبالغ محددة معروفة .

ـ كـم ؟

ـ نصف مليون .

ـ نصف مليون ؟!

ـ ومثلها لزملائى الذين سيسهلون الائتمان .

ـ أليس لك خاطر عندهم؟!

ـ فى مثل هذه الأمور لا خواطر .

وقبل أن يتكلم أبو سريع ، دق جرس الباب فى بيت لطفى ، وقام لطفى إلى الباب وفوجئ بوجدى واقفا عليه . وتولته الدهشة وهو يصيح :

ـ أهلا سعادة البك تفضل .

ـ أهلا بك ، عرفت عنوانك من البنك .

ـ وماله ، تفضل .

ـ مبروك البيت . . أنا أريد أن أعرف عنوان أبيك

ـ أبى هنا .

ـ أهو هنا ؟

ـ تفضل .

ـ إذن أدخل .

قال وجدى لأبى سريع :

ـ سنشرب القهوة فى منزلك .

ـ أمرك .

ـ هيا بنا .

وقال لطفى :

ـ من غير أن أكرمك .

ـ سأجىء لك خصيصا مرة أخرى ، إلا أننى اليوم على عجل ولابد لى أن أرجع إلى البلد اليوم .

ـ أمرك .

ـ هيا يا أبا سريع .

ـ أنا تحت أمرك . . . هيا .

وما إن استقر بهما المقام فى بيت أبى سريع حتى سارع قائلا لوجدى :

ـ أنا أعرف فيم تريدنى .

ـ هل الذى فعلته معقول ؟!

ـ انتظرنى لحظات .

وما لبث أن عاد وبيده مصحف شريف . وما إن جلس حتى فاجأ وجدى بأن قال :

ـ ما هذا ؟

ـ إن كنت تنوى أن تحلف عليه فاخش الله .

وضع أبو سريع يده على المصحف ، وقال :

ـ أقسم بهذا المصحف كلام الله المنزل، وأنا حججت إلى بيته المقدس، أننى سددت كل أمانات أهل البلد لأصحابها وليس لأحد منهم مليم فى ذمتى سواء كان هذا المليم أمانة أو كان دينا.

وساد الصمت هنيهة، وقال وجدى :

ـ حتى عبد الحميد أبو جريشة ؟

فى وقاحة منقطعة النظير، قال أبو سريع :

ـ من عبد الحميد أبو جريشة ؟

ـ ألا تعرفه ؟

ـ ربما الشيخ الأعمى المقطوع .

ـ أليس له عندك ألف وستمائة جنيه ؟

ـ وهذا الفقى الأعمى من أين له بمبلغ كهذا ؟

ـ ألم يقل لك ؟

ـ أنا لم أره وحدنا عمرى كله . . . أنا لا أراه إلا فى المآتم، وحين نقوم بدفن أحد الأموات. لقد سمع الإشاعة فقال فرصة أعمل لنفسى شأنا ومكانة. ومتى يجد مثل هذه الفرصة حتى يجعل الناس يلوكون اسمه ؟!

وصمت وجدى لحظات ثم قال :

ـ إنه الوحيد بين الذين يقولون إنهم استأمنوك وخنت أماناتهم الذى فكرت أن أرد له مبلغه، فقد تألمت لأمره كل الألم.

ـ خصيمك النبى إن فعلت .

ـ مادمت تنفى كل هذا النفى سأصدقك . والأمر الآن أصبح بينك وبين الله .

ـ يا رجل لقد عرفتنى منذ أن كنا أطفالا ، وعملت معك سنوات ، وكنت أتصور أنه إذا صدق الجميع عنى هذه الشائعات فأنت بالذات ستنفيها .

ـ إنهم كثيرون يا أبا سريع !

ـ مهما كثروا .

ـ فكيف تتصور أن يكونوا فى مثل هذا العدد؟!

ـ واحد أراد أن يسىء إلى سمعتى فتبعه الآخرون واجدين فرصة عندك لعلك تجود عليهم بشىء ، أو يتظاهرون بأنهم كانوا ضحية لثرى وخصوصا بعد أن عرفوا أننى بعت لك أرضى بهذا المبلغ الكبير . وشرفك يا وجدى بك كلهم شأنهم كشأن عبد الحميد أبو جريشة .

ـ أنا منذ اليوم لن أكلمك فى هذا الموضوع ، وسأترك أمرك لله وكلامه ورسله فهم خصومك إن كنت من الكاذبين .

ـ فقط ألم يقل لك أحد إنه استأمننى على مبلغ كبير بلا إيصال منى ولا سند فى يده ورددت له أمانته .

ـ الحقيقة أن كثيرين قالوا ذلك ، وأكبر المدافعين عنك الشيخ عبد الفتاح أبو إسماعيل .

ـ ألم يقل لك المبلغ الذى استأمننى عليه ؟

ـ يقول عشرة آلاف .

ـ ألم يكن هذا أولى من عبد الحميد أبو جريشة؟!

ـ كما قلت لك إنك ستقف بين يدى الله الذى حلفت به وبقرآنه، وهو الواحد الديان، أما عنى فإنى أعيذ نفسى أن أصدق شيئا لا أجد عليه دليلا ماديا حتى الآن .

ـ ولن تجد، والأيام بيننا . . . أتسمح لى أن أقول لك شيئا ؟

ـ قل .

ـ إذا قدم أى مدع من الذين يتهموننى زورا ورقة واحدة تثبت كذبى وصدقه، فسأدفع لكل من يتهموننى المبالغ التى يدعون أنهم أودعوها عندى بصفة أمانة .

ـ أهذا عهد ؟

ـ عهد الله بينى وبينك. فإن رأيتنى أخيس به فلا تعرفنى بعدها أبدا .

ـ اللهم فاشهد أنا عملت ما رأيت أنه واجبى، وليس لى شأن بهذا الموضوع إلا إذا ظهر فيه جديد .

ـ إذا ظهر هذا الجديد، فستجدنى بين يديك أنفذ عهد الله الذى وثقته بينى وبينك .

ـ وهو كذلك . . سلام عليكم .

ـ وعليكم السلام يا سعادة البك . زيارتك هذه لا تحسب ، وهذا شرف أحب أن أناله بغير أن يكون السبب له هو شكك فىّ .

ـ الأيام القادمة كثيرة . ومن يدرى؟ ربما أكثر من زيارتك حين تنكشف هذه الغمة . بيتك جميل كيف وجدته ؟

ـ إنه شقة مفروشة ، حين تأتى المرة القادمة ، سيكون ذلك فى بيتى إن شاء الله .

ـ إن شاء الله ، سلام عليكم .

وتصافح الرجلان وانصرف وجدى وقد تمكن أبو سريع من أن يزعزع ثقته التى جاءه بها بأنه خائن للأمانة .

*****

استطاع أبو سريع بمعاونة من لطفى أن يحصل من البنك بالوسائل غير المشروعة على عشرة ملايين من الجنيهات . وما يلبث أبو سريع أن يشترى قطعا أخرى من الأرض وينال عليها بنفس الوسائل عشرات الملايين من الجنيهات ، سواء كان حصوله على هذه الأراضى بعقود بيع وشراء صحيحة أو بنفس الوسيلة التى حصل بها على قطعة الأرض الأولى . واشترى أيضا بوسائله شقة أقام فيها هو وسلمى .

أما لطفى ، فقد أصبح كما قدر أبوه هو المشرف على أرض سعدية وأموالها منذ مات أبوها بعد أن ظل فترة يصدق عليه قول المنتقم الجبار : ﴿لا يموت فيها ولا يحيا﴾ .

●●●●●

الفصل الحادى عشر

قالت نبوية لأبيها :

ـ أنا لا أعرف يا آبا لماذا لم تسع فى طلاقى من زردق حتى الآن ؟

ـ يا بنتى هل جننت ؟

ـ أجنون أن أطلّق من مجرم فى قضية قتل ضبط فيها متلبسا ؟! اسمع يا آبا ، والله إن لم تطلب طلاقى من هذا الزواج الذى لم يستمر إلا أياما معدودة ، فسأذهب إلى تامر بن وجدى بك وأجعله يرفع لى قضية ، وهو لا يأخذ من أبناء البلد قرشا .

ـ يا عبيطة ! وهل أنا متأخر ؟!

ـ شهور الآن وأنت تسوف .

ـ لأن القضية لم يحكم فيها .

ـ إنها ثابتة يا آبا .

ـ المحكمة لم تقل شيئا حتى الآن، ومادام لم يحكم على زردق فنحن لا نستطيع أن نطالب بالطلاق.

ـ يا آبا المحاكم حبالها طويلة.

ـ حكمة ربنا يا بنتى، وأنا ماذا بيدى أن أصنع؟!

ـ أيرضيك أن أظل هكذا كالبيت الوقف: لا أنا حرة، ولا أنا زوجة ؟!

ـ لا يرضينى ولا يرضى أحدا، ولكن ماذا نفعل ؟!

ـ كان عليك أن ترفضه أول الأمر.

ـ وأجعله يقتلنا جميعا أنا وأنت وأمك وأخواتك؟!

ـ الأعمار بيد الله.

ـ إنما قال الله: ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾.

ـ هذا الرعب هو الذى جعلهم يفُوعُون كالذئاب فى خلق الله!!

ـ يا بنتى البنى آدم إذا قتل مرة واحدة يقتل مائة مرة، فما بالك برجل وظيفته فى الدنيا أن يقتل؟!

ـ نهايته، سلام عليكم.

ـ وعليكم السلام.. إلى أين ؟

ـ فى ستين داهية.

وخرجت نبوية وصفقت الباب خلفها، وكان الليل فى موهنه الأول وبدأت الظلمات تلقى دكنتها على الأرض وكان هذا هو الوقت الذى

أرادته نبوية لتنفذ ما عزمت عليه فى نفسها .

كان الشيخ عبد الحميد فى منزله يستمع إلى الراديو وإن كان منصرفا عنه بفكره إلى ذلك الأمر الذى صمم على أن ينفذه مهما كانت الصعاب ومهما كانت العواقب .

وطرق الباب . وكان الشيخ عبد الحميد يجلس دائما بجانب الباب حتى يسارع بفتحه إن جاءه رسول يطلبه إلى عمل .

فتح عبد الحميد الباب أولا ثم قال :

ـ من ؟

وجاءه صوت نسائى :

ـ أدخل أولا ثم أخبرك . .

ولم تمهله نبوية ، وإنما دفعته فاندفع ، وأغلقت هى الباب وأحكمت إغلاقه ثم التفتت إليه . .

ـ ألم تعرفنى ؟

ـ العتب على النظر .

ـ أليس عندك مصباح ؟

ـ الكهرباء فى البيت ، ومفتاح النور على يسار الداخل من الباب ، ولكن ماذا أفعل أنا بالنور ؟!

وأضاءت نبوية المصباح وهى تقول :

ـ معك حق . . اجلس .

ـ قولى لى أولا : من أنت ؟

ـ أنا نبوية .

ـ بسم الله الرحمن الرحيم . . بنت الشيخ عبد الفتاح أبو إسماعيل ؟!

ـ أعفريت أنا يا شيخ قرد؟!

ـ يا ليتنى يا ستى كنت قردًا ! على الأقل كنت أراك!

ـ النهاية .

ـ خيراً .

ـ أنت تعرف أن زردق كان عنده سلاح كثير .

ـ كان! . وأين ذهب السلاح ؟

ـ ألم يفتشوا البيت بعد القبض عليه ، وأخذوا السلاح !

ـ كله ؟

ـ كله إلا . . . . .

ـ إلا ماذا ؟

ـ إلا مسدس صغير تاه منهم .

ـ وأين هذا المسدس ؟

ـ انتظر ، المسدس معى . خفت أن يأتوا للتفتيش مرة أخرى ويتهموا أبى بأنه عنده سلاح ، فلن يصدقوا أنهم لم يروا المسدس فى التفتيش الأول!

ـ كلام معقول .

ـ وأنت تعرف أن أبى لا يحب وجع الدماغ .

ـ أعرف هذا جيدا . . إنه يخاف من خياله .

ـ جاك خابط !

ـ وماله . .

ـ المهم .

ـ نعم المهم ، ما شأنى أنا بهذا الموضوع كله ؟

ـ أنا أفكر فى أن أبيع المسدس بعد أن يتم طلاقى من المجرم زردق .

ـ لك حق . . أهو مسدس من نوع جيد ؟

ـ سلاح رجل لا عمل له إلا القتل .

ـ على رأيك . . إنه يساوى على الأقل ثلاثمائة جنيه .

ـ إن لم يكن أكثر .

ـ فعلا إن لم يكن أكثر .

ـ ولكن أنا ما شأنى بهذا . . ؟ أتريديننى أن أتمرن عليه ؟

وقهقهت نبوية ، وهى تقول :

ـ من أجل هذا جئت لك .

ـ لأننى أعمى تعنين ؟

ـ من يفكر فى أن مثلك يملك مسدسا؟!

ـ غير معقول .

ـ وإذا ملكته ، ما فائدته لك؟

وصمت عبد الحميد هنيهة حتى صاحت به نبوية :

ـ ما فائدته لك ؟

ـ لا فائدة طبعا .

ـ خفت أن أعطيه لغيرك فيأخذه ولا يرده ، فقلت ليس لها إلا عبدالحميد .

ـ الأعمى ؟!

ـ لا داعى لقولها .

ـ أو قوليها فقد تعودت عليها .

ـ ما رأيك فى هذه الفكرة ؟

ـ فكرة عظيمة فعلا . . إننى لن أنتفع به فى شىء حتى ولو فكرت فى أن أبيعه سأجعل من نفسى مسخرة : من أين للأعمى بالمسدس؟ ! وتصبح أحدوثة بين الناس .

ـ هاك المسدس .

ـ هل به رصاص ؟

ـ وماذا تنتظر؟ ولكن لماذا تسأل ؟

ـ حتى لا ألعب به .

ـ على كل حال، أنت لا شأن لك به حتى أجيء إليك وآخذه منك .

ـ وأنا ما الذى يجعلنى أقترب من آلة لا أعرف عنها شيئا ؟

ـ أقوم أنا إذن . . . تركتك بعافية .

ـ مع السلامة يا أختى .

وخلا عبد الحميد بنفسه : أمعقول هذا الذى يحدث . . ؟! سبحانه . . ! له فى ذلك حكم .

*****

فى الندوة التى يشارك فيها عبد الحميد ، جرى الحديث عن أبى سريع وقال سلامة :

ـ ابن الكلب يضحك على بلد بأكملها!

وقال صديقهم وردانى :

ـ اشترى بيتا فخما فى مصر فى عمارة بالغة العظمة!

وإذا بعبد الحميد يقول :

ـ حجرة منه ملكى أنا . . . لا سامحه الله!

وضحك الجالسون ، وعاد عبد الحميد يقول :

ـ أتعرف هذا البيت ؟

ـ وشرفك لم أرجع من مصر إلا بعد أن رأيته بعينى .

ـ وما الذى دعاك لهذا ؟

ـ فضول وفراغ . . أنت تعرف أننى كنت صديقا للطفى . . ذهبت إليه فى البنك، وكان على وشك الانصراف، فحملنى معه فى سيارته ليرينى العز الذى أصبح يتمتع به . وحين بدأ السير بسيارته قال لى :

ـ إلى أين أنت ذاهب ؟

ـ ألم يدعك على الغداء ؟

ـ أنتم تعرفونه . . طول عمره نتن .

ـ ولكنه الآن أصبح فى حال غير الحال .

ـ يا بنى النتن يظل على حاله فى الفقر والغنى على السواء .

ـ المهم، هل أوصلك إلى حيث كنت ذاهبا؟

ـ قال لى : تحب أن ترى بيت أبى الذى انتقل إليه الأسبوع الماضى ؟

ـ أحب جدا .

وذهب بى إلى حى المهندسين . وحين بلغنا شارعا متسعا ترك بعض عمارات على اليسار ثم أشار لى إلى عمارة ضخمة وقال :

ـ شقة أبى هنا .

وسأل عبد الحميد :

ـ أعرفت اسم الشارع ؟

ـ عرفته لكى أؤكد لكم حقيقة ما أقول .

ـ ما اسمه ؟

ـ شارع الأشجار رقم ٩ .

ـ لا . . سهل .

ـ ماذا؟ أتنوى أن تذهب إليه ؟!

ـ قد تدركه الشفقة علىّ .

وقال سلامة :

ـ احك له حكاية قمر .

ـ احكها له أنت .

ـ وأنا ما شأنى ؟

ـ ألم تسمع عن واجبات الصحبة ؟

ـ صحبة هباب .

ـ إنما هى صحبة مفروضة عليك والسلام .

*****

كان الجمع قد انفض ولم يبق إلا سلامة وعبد الحميد . وقال :

ـ الجميع مشوا ، ألا تنوى أن تروح ؟

ـ قم بنا .

وفى الطريق قال سلامة :

ـ أتنوى حقا أن تذهب لأبى سريع ؟

ـ أعجيبة أن أحاول ؟

ـ لا عجيبة ولا حاجة .

ـ سأذهب إليه .

ـ متى ؟

ـ حدد أنت الموعد .

ـ أنا ليس ورائى شىء فى هذه الأيام .

ـ فى أى يوم نحن من أيام ربنا . . ؟ أليس اليوم يوم الخميس ؟

ـ بلى .

ـ ماذا وراءك غدا ؟

ـ لا شىء .

ـ نصلى الفجر ونركب القطار .

ـ التذاكر على حسابك .

ـ والتاكسى أيضا الذى سنأخذه من المحطة إلى بيته .

*****

كان اليوم جمعة وكان أبو سريع فى بيته مرتديا جلبابه حين دق جرس الباب ، وذهبت الخادمة ، وقال سلامة :

ـ الحاج أبو سريع هنا ؟

ـ نعم . . أقول له من ؟

ـ قولى له : صديقان .

ـ تفضلا . .

وذهبت بهما إلى حجرة الجلوس، وأخبرت أبا سريع بمجيئهما، وسألها :

ـ ألم تسألى عن اسميهما ؟

ـ يقولان : صديقان .

لاحظ سلامة أن عبد الحميد منذ دخلا بيت أبى سريع لم يخرج يده اليمنى من جيب كاكولته، ولكنه لم يعلق على الأمر، فإنها ملاحظة عابرة لا تستحق السؤال .

لم يتعجل أبو سريع وذهب فى استرخاء إلى حجرة الجلوس . وما إن رآهما حتى صاح :

ـ أنتما ؟! ماذا جاء بكما ؟!

وقال عبد الحميد :

ـ بلدياتك، ونريد أن نهنئك على البيت الجديد .

وصافحهما أبو سريع فإذا بعبد الحميد يصافحه بيده اليسرى فقال أبو سريع :

ـ أين يدك اليمنى ؟ عسى الله تكون قطعت .

ـ وقال عبد الحميد فى استخفاف :

ـ لا . . . إنه مجرد جرح .

وازدادت دهشة سلامة، فهو يعلم أن يد عبد الحميد سليمة ولكنه لم ينطق بحرف. وقال أبو سريع فى جرأة :

ـ من أعمالك السوداء. كيف تجرؤ على زيارتى بعد أن كذبت على الناس وادعيت أننى أخذت منك مبالغ من المال ؟

ـ ألم تأخذ ؟!

ـ ومن أين لمثلك بالمال حتى آخذه ؟

ـ وماذا تقول لربك ؟!

ـ بل ماذا تقول أنت لربك وأنت تسىء إلى سمعة الشرفاء من أمثالى ؟!

وقال سلامة :

ـ على مهلك يا عم الحاج .

ـ أنت لا تتكلم مطلقا .

ـ أمرك .

قال عبد الحميد :

ـ يعنى أنا ليس لى عندك ألف وستمائة جنيه ؟

ـ أما إنك لوقح . . ! هل جننت يا ولد ؟!

ـ فعلا جننت! هيا بنا يا سلامة !

وقاما واقفين . . وقال عبد الحميد :

ـ سامحك الله يا حاج . . أعطنى يدك حتى أسلم عليك وأعتذر لك أننى كذبت عليك .

ـ إن كان على يدى هاك يدى . .

ومد عبد الحميد يده اليسرى .

وفى لمح البصر ، أمسك عبد الحميد بيده . . يد أبى سريع . . وتمكن منها . . وأخرج المسدس من جيب الكاكولة ، وأطلق النار على أبى سريع!! ولم يكتف بطلقة ولا اثنتين ، وإنما أفرغ الرصاصات الست فى جسم أبى سريع ، وسلامة ذاهل فى دوار أخاذ لا يزيد عن قوله :

ـ الله . . . الله . . . الله!!

وارتمى أبو سريع مضرجا بدمائه ، والتفت عبد الحميد إلى حيث يسمع صياح سلامة وقال له :

ـ هل مات ؟

ـ أنت جننت !

ـ أجبنى . . هل مات ؟!

ـ وماذا تنتظر ؟

ـ هل دخل الرصاص جسمه ؟

ـ وهو الآن صريع ولابد أنه ميت لا محالة إن لم يكن مات فعلا !!

ـ الآن استرحت . . ! أجلسنى .

ـ وقعتنا سوداء .

ـ أنت مالك؟!

ـ ألست معك؟

ـ لا تخف . . أنا عندى لكل سؤال جواب .

ـ أى جواب؟! الله يخرب بيتك .

طبعا جاءت سلمى والخادمة على صوت الرصاص، وراحتا تطلقان الصراخ المجنون المذعور . وقال عبد الحميد لسلامة بصوت آمر :

ـ أبلغ الشرطة يا سلامة!

ـ أى شرطة ؟!

جاء البواب وسكان العمارة . . ولم يمر كثير وقت حتى كان عبد الحميد وسلامة بين يدى الشرطة . . وبدأ التحقيق .

س : هل قتلت أبو سريع علوان ؟

جـ : نعم، قتلته .

س : لماذا ؟

جـ : لأنه سرق حياتى .

س : ها أنت ذا حى .

جـ : يتهيأ لك .

س : هل تعترف أنك قتلته وحدك ؟

جـ : نعم أنا وحدى المسئول ، قتلته مع سبق الإصرار ، وبلا ترصد طبعا لأنى ليس لى عينان أترصد بهما .

س : كيف ، وأنت أعمى ؟

جـ : أمسكته بيدى اليسرى وقتلته .

س : وما شأن سلامة ؟

جـ: إنه لا شأن له بأى شىء ، ولا يعلم أننى سأقتله .

س : فلماذا كان معك ؟

جـ : كلك نظر يا حضرة الضابط ! كيف كنت سأذهب إليه وأنا كما ترى؟!

س : ألم يكن متفقا معك على قتله ؟

جـ : إنه لو كان يعلم أن معى مسدسا لما جاء معى .

س : ومن أين لك بالمسدس ؟

جـ : إنها حكاية طويلة . . إنما قل لى يا حضرة الضابط أنا أعلم من الجرائم التى أسمعها بالراديو أن من حقى طلب محام .

س : هذا حقك . . هل تعرف محاميا ؟

جـ : ولا أقبل أن يحضر معى غيره .

س : من هو ؟

جـ : الأستاذ تامر وجدى صفوان .

س : ما صلته بك ؟

جـ : إنه من بلدنا ، وهو وأبوه لم يقدما إلا كل خير لأهل البلد جميعا .

س : أهذه كل صلتك ؟

جـ : وكيف يمكن أن تكون هناك صلة أخرى بين فقى أعمى ومحام مشهور؟!

س : أتحفظ رقم تليفونه ؟

جـ : أنا أسمع أن هناك شيئا اسمه دليل تليفون .

وما هى إلا ساعة حتى حضر تامر ، وما لبث وكيل النائب العام أن بدأ تحقيقه مع عبد الحميد بحضور تامر . وفى التحقيق روى عبد الحميد كل ما كان من شأن أبى سريع وشأنه . وروى قصته مع قمر ، بل وروى أيضا قصته مع نبوية ، وكيف حصل منها على المسدس ، ثم قال لوكيل النيابة :

ـ يا سعادة الوكيل أنا حين قتلت كنت أعرف مصيرى ، وأنا رجل أحفظ كلام الله ، وأعرف أن القتل هو أعظم جريمة عند الله والناس ،

وأحفظ قوله تعالى : ﴿أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا﴾. فجزائى فى الدنيا أعرفه وأنا مستعد له. أما جزائى فى الآخرة فإنى أعتمد على قول الغفور الرحيم: ﴿أو فساد فى الأرض﴾، وقد كان أبو سريع مفسداً فى الأرض. فإن لم يكن هناك أدلة لأهل الأرض على فساده فالله الرقيب الحسيب يعرف خائنة الأعين وما تخفى الصدور. وأنا لم يصبح لى فى الأرض أمل أعيش عليه، فقد كنت أرجو أن أتزوج ويكون لى أولاد أرى بأعينهم الدنيا التى حرمتها، وقضى أبو سريع على كل أمل لى فى ذلك.

وقال وكيل النيابة :

ـ هل اطلعت على الغيب ؟

ـ إذا كنت لا أرى الحاضر، فكيف لى بالاطلاع على الغيب يا سعادة الوكيل؟! لقد ولدت فاقد البصر بفعل الله. وله فى ذلك حكمته التى لا يعرفها إلا هو، إلا أننى قد أصبحت فاقد البصيرة بفعلى أنا، وبهذا الفعل أقبل حكم البشر. أما شأنى مع الله فلا يعرفه إلا هو.

وانتهى التحقيق وحولت القضية إلى المحكمة وتكلمت النيابة تطلب أقصى العقوبة ثم تكلم تامر فقال :

ـ يا حضرات المستشارين.. إننى لن أقدم للمحكمة دفاعًا خيراً مما قاله المتهم أمام النيابة، ولو كنت أتقاضى أتعابا على هذه القضية لرددت الأتعاب. وأنا لا أتقدم إلى ساحتكم المقدسة طالبا البراءة، وإنما أطلب

الرأفة ما وجدت ضمائركم المشرقة بنور الله سبيلا إليها. والسلام عليكم ورحمة الله.

ورفعت الجلسة للمداولة.

وصدر حكم المحكمة بالسجن خمسة عشر عاما. وقال عبد الحميد: سبحانك يا على يا قدير، لقد ضمنت لنفسى القوت ومن كان فى سجنى الربانى لا يعنيه سجن البشر. تقدست أسماؤك وجل جلالك.

●●●●●

الفصل الثانى عشر

كان تامر جالسا فى مكتبه حين أعلنه وكيل المكتب بحضور شخص واضح أنه محترم اسمه الدكتور وائل نعمان، فأمره تامر أن يسمح له بالدخول.

شخصية ترغم رائيها على الإجلال والاحترام، يلبس فى أناقة وقور، وبيده حقيبة من جلد التمساح. وقدم نفسه لتامر :

ـ الدكتور وائل نعمان.

ـ يا مرحبا . . دكتور طبيب ؟

ـ بل دكتور فى الآداب من السربون.

ـ أهلا وسهلا شرفت، وفيم نلت الدكتوراه؟

ـ كانت رسالتى عن أثر الأدب الفرنسى فى الأدب العربى.

ـ موضوع شائق وعظيم. هل طبعت الرسالة ؟

ـ الجامعة أمرت بطبعها.

ـ أرجو أن يكون لى حظ قراءتها .

ـ يسعدنى كل السعادة أن يقرأها شخص له ثقافتك وشهرتك .

ـ المحاماة هى عملى ، أما هوايتى فهى الأدب .

ـ ليس هذا مستغربا عليك .

ـ أنا تحت أمرك . . من الذى نصحك بتشريفى ؟

ـ أنا طبعا حين فوجئت بأن أرضى اغتصبت ، ذهبت إلى أكبر محام فى مصر .

ـ أنت إذن قادم من عند أستاذنا رشدى فاضل ؟

ـ الذى اغتصب أرضى من بلدكم ، وحين عرف رشدى بك ذلك أرسلنى إليك .

ـ لابد أنه المرحوم أبو سريع علوان .

ـ وابنه لطفى .

ـ ما القضية ؟

ـ قطعة أرض لى بالسيدة زينب مساحتها ألفا متر مربع ، غبت عنها سنوات دراستى الست . وعندما عدت وجدت الأرض قد اغتصبت ، وبحثت وتبينت الحقيقة الفاجرة .

ـ أمر ليس مستغربا على الوالد أو ابنه .

ـ هذه أوراقى أتيت بها معى لا مجال للشك فيها أو المناقشة حولها .

*****

واستطاع تامر أن يكشف جميع أعمال التزوير والاحتيال التى ارتكبها المرحوم أبو سريع وابنه لطفى ، وصدر الحكم بسجن لطفى عشر سنوات مع مصادرة جميع أمواله وأموال أسرته بلا استثناء .

وسبحان الملك القدوس الذى قال فى كتابه العزيز : ﴿ونفس وما سواها * فألهمها فجورها وتقواها﴾ وصدق الله العظيم .

●●●●●

انتهت بحمد الله

أوتيل أولاك ـــ لوزان ـــ أوشى

السبت ١١ من جمادى الأولى سنة ١٤١٨ هـ

الموافق ١٣ من سبتمبر سنة ١٩٩٧ م

الساعة الخامسة وخمسون دقيقة.

الفهرس

رقم الإيداع ٩٨/١٤٥٤٩
الترقيم الدولى 1 - 0501 - 09 - 977

مطابع الشروق

القاهرة : ٨ شارع سيبويه المصرى ـ ت:٤٠٢٣٣٩٩ ـ فاكس:٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)
بيروت : ص.ب: ٨٠٦٤ ـ هاتف : ٣١٥٨٥٩ ـ ٨١٧٢١٣ ـ فاكس : ٨١٧٧٦٥ (٠١)

دار الشروق